

مجلة
الثقافة
الوطنية
الديمقراطية

أدب ونقد

العدد
٢٠٢
يونيو
٢٠٠٢

العفيف الأخضر / عاطف أحمد / شوقي جلال / منى طلبية / أنور مغيث / مجدى عبد الحافظ

الحداثة والديمقراطية

سعدى يوسف: الدم فى الشوارع



ييل القمنى: التغيير أو الوصاية



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثامنة عشر / العدد ٢٠٢ / يونيو ٢٠٠٢

رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير : فريدة النقاش

مدير التحرير : حلمي سالم

المشرف الفني وسكرتير التحرير: أشرف أبو اليزيد

مجلس التحرير

إبراهيم أصلان / د. صلاح السروي

طلعت الشايب / د. علي مبروك

غادة نبيل / كمال رمزي

ماجد يوسف / مصطفى عبادة

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالي
القاهرة / هاتف: ٢٩ / ٢٨ / ٥٧٩١٢٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون
د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميث / ملك عبد العزيز

التنفيذ الفني للغلاف
أحمد السجيني

أعمال الصف والتوضيب
نسرين سعيد إبراهيم
سحر عبد الحميد

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الإنترنت: adabwanaqd.4t.com

في هذا العدد

- أول الكتابة : فريدة النقاش [٥]
- دراسة : الخروج عن معلوم من الدين بالضرورة : سيد القمني [١٣]
اشكالية تحديث الفكر العربي : عاطف أحمد [٢٥]
- حلقة نقاش : الحداثة والديمقراطية : [٣٥]
- الديوان الصغير : الدم في الشوارع : سعدي يوسف [٧٥]
- القصة : يدها الصغيرة : إيمان عبد الحميد [٨٨]
طيور بلا أجنحة : عمرو جودة [٩٢]
- الشعر : المحال : عبد الستار محمود [٤]
فعل يومي : عماد غزالي [٩٥]
فروض فوضوية : فاطمة ناعوت [٩٦]
لا مكان له : محمد الحمامصي [٩٧]
الذين لا يرثون .. : محمود عبد الرحيم [٩٨]
على وشك أن أحبك : جاكين سلام [١٠٠]
- النقد : المعاناة قبل عناق الألم : رمضان يسطاويسي محمد [١٠١]
امرأة وحيدة في العراق : عواد ناصر [١١٣]
عندما تصير الذاكرة وطنا : أحمد الشريف [١١٨]
- مسرح : من الذي ساق العلاج إلى حتفه : خالد سليمان [١٢٥]
- سينما : النعامة والطاووس : محمد رجاء [١٣٠]
- مع الكتب : أ أ [١٣٥]
- ندوة : أمسية فلسطينية [١٤١]
- تواصل : التحرير [١٤٢]
- بطاقة فن : سناء كيالي : أشرف أبو اليزيد [١٤٤]
غلاف العدد بريشة الفنان الكبير حلمي التوني من معرضه [ملحق أنثوية]
الغلاف الأخير من أعمال الفنانة الفلسطينية الأردنية سناء كيالي
الرسوم الداخلية للفنان العراقي علاء بشير

شعر



البرغوثي بريشة
دنيا محسن
والشاعر بعدسة
خالد سلامة



المحال

عبد الستار محمود

إلى المناضل البطل
الذي يعذب الوطن الفلسطيني الآن
في قلبه بين جدران السجون
الصهيونية: إلى مروان البرغوثي

قلبي وأم وبنت
مجنح النح النجوى

أز المحقق: قل
قلت اصعقوا بدني
خلوا الكلاب الضواري
تصطفي كفني
لكن عين المحال
لو هنت يا وطني.

هذا سراب غداً
والموت قبلتنا
إبيض ريش الغراب
خلت جديتنا
أغشو الرؤى بالضباب
شمس بصيرتنا

شدًا وثاقي أفقت
فالصوت من (فدوى)

أول الكتابة

فريضة النقاش

تتعلق أنفاسنا وقلوبنا بفلسطين الصابرة المقاومة كما فعلنا دائما منذ بدأت انتفاضة الاستقلال . نتالم ونتأمل ونتساءل ، نلاحق الأخبار ، نستنهض الذاكرة لتحفظ بملامح الشهداء وهم كثر وأطفال المخيمات وهم أكثر ، نتجادل ونلث وراء المظاهرات وصور الاحتجاج نبذل كل ما نستطيع لنريح ضمائرنا المعذبة فنتبارى لتموين القوافل الذاهبة إلى بوابات رفع وقد تصل أولا تصل إلى فلسطين ، نوقع على البيانات نبكى ونستدعى شعر المقاومة زادا للروح ، وإسان حالنا يقول لكل يوم يمضى هادنا نللك لا تكون يا هذا اليوم هدوء ما قبل العاصفة حيث يتلمظ السفاح لاجتياح «غزة» ويعبئ الاحتياطي ويعد الإسرائيليون بأمن أكبر والفلسطينيين بالجميم.

وتلخص حالتنا ببلاغة عجز العرب أجمعين خاصة الحكام ، ومما يثير السخرية أن الحكومات أخذت تتبارى مع الحركات الشعبية التي حاصرتها هذه الحكومات نفسها بالقوانين المقيدة للحريات وبكل صور القمع الروحي والمادى تتبارى الحكومات لإرسال مواد الاغاثة ، وكأنهم مث لنا لا يملكون من أمرهم شيئا ، هم الذين يسيطرون على الجيوش والأسلحة والاقتصاد والعلاقات الدولية والقرار السياسى . وفى الحوار المقطوع معهم دائما ما يقفزون إلى النهاية .. نهاية النهاية ويسألون باستنكار .

- هل تريدون منا أن ندخل الحرب .. وضد من؟ ضد أمريكا؟ .

ويعرف حكامنا جيدا أننا لا نريدهم أن يحاربوا ، فنحن نعرف ربما أكثر منهم أن العرب ليسوا مستعدين للحرب والتي لن تكون نتيجتها غالبا لصالحهم بسبب الخلل فى موازين القوة الذى أحدثه الحكام فأخذوا هم وشعوبهم وفى القلب شعب فلسطين

يحصنون ثمار ما زرعت أيديهم . ولكن ما يتجاهله هؤلاء الحكام هو أن هناك الكثير غير الحرب يستطيعون القيام به لكنهم لا يفعلون ، ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن في هذا السياق هو الالتزام بمقررات القمم العربية منذ عام ١٩٩٦ التي تقضى بإحكام المقاطعة على إسرائيل ودعم الانتفاضة الفلسطينية بكل السبل وهذه السبل ليست هي بالقطع مجرد إرسال مواد طبية أو غذائية للفلسطينيين قد تصل أو لا تصل وكأنهم يغسلون أيديهم بينما ارادتهم معطلة وسياساتهم ملحقة بالسيد الأمريكي وأبواب التغيير ليست حتى موارية.

لابد أن المبدعين منكم يسألون أنفسهم ما العمل؟ وكلما وجدتم الأبواب موصدة زاد السؤال إلحاحا والألم حرقا .. وسوف يكون من قبيل تبسيط الأمور أن نقول إن العمل هو المزيد من العمل .. من الإنتاج .. ولما كنا نقول أحيانا أن هناك وقائع وأحداث أغرب من الخيال فسوف نجد أنفسنا مدعويين للتعلم من مدرسة هذا الشعب الباسل ، مدرسة الخيال الواقعي للغاية ، البسيط كندى الصباح ، الخيال الواقعي الذي يتعلق بأجنحة الطيور السوداء وهي تحلق في السموات العربية ويزداد سخاء في إهدائنا الصور لتهدأ القلوب الموحجة وتطمئن لأن المقاومة تتواصل.

وسوف نظل نسأل : كيف والوقائع تجري بسرعة الضوء كيف يمكن أن تتبلور وتنضج أشكال التعبير ، كم وردة سوف تثبت من قلوب الشهداء لتقطع دربها إلى التعبير فواحة بالشذى نداوتها لا تكذب أبدا.

يخيل إلى أن سؤال الإبداع في الأزمنة البصعبة المتحولة شأن زماننا يتضمن في ذاته دعوة حارة للتركيب والتعقد في مجاهدة المباشرة والخطابة ، في خلق الوعي بضرورة الإبقاء على المسافة بين تدفق الحدث الدامي وبين التعبير ولعله سيكون مفيدا ومدهشا لنا أن ندرس دراسة متأنية ونقدية تلك القصائد التي كتبها الشعراء الكبار في ظل الحصار متواكبة مع المجزرة قابضة على اللهب ومتحررة في نفس الوقت من ضغوط الدم ومراودة الشعار لها .. وإن كان «إميل حبيبي» المفكر والروائي الفلسطيني الراحل قد سأل غباضيا ذات يوم تعليقا على نقاش كان قد دار قبل سنوات حول الشعار في الأدب «سأل «إميل حبيبي».

«سأل الشعار إن كان صادقا ودخل بنا سؤاله آنذاك منطقة في التعبير شائكة ولكنها حيوية قالتخوم بين الصدوق والكذب في الفن تتبنى لافحسب في عملية التركيب وإنما أيضا تتخلق عبر رؤية للعالم وعملية اختيار وإنحيازات وأفكار تتمحور كلها حول الإنسان وتساءل أين الإنسان وكيف تتجلى فعاليته وتغمر أشواقه ساحات الدنيا عمقا

ومدى وتجرى إضاعة تلك المساحات المعتمدة فى العلاقات بينه وبين الواقع .. فما بالناس إن كان واقعا فلسطينيا ممثلنا الحافة بكل ما يستتفر ويوجي ويؤلم ويفتح أيضا أبوابا للفرح لأن يوم الاستقلال آت لا ريب فيه.

عددنا بدورته مفعم بالأسئلة ومشروعات الاجابات التى نتمنى أن نشجعكم على الدخول فى السجال خاصة وأن ندوة العدد مع المفكر التونسي العربى الكبير والاشكالى العفيف الأخضر قد طرحت بعض أهم أسئلة حداثتنا ومناطق التوتر فيها ورفضت فكرة أن هناك الدين الحق والدين الباطل ، وأن يحكمنا الأموات من القبور ويقدم الماضى أجوبته على أسئلة الحاضر. ووضع المرأة المسلمة التى ما دامت تعتبر قاصرة قانونا والرجل قواما أبديا عليها فإن المجتمعات العربية ستبقى مشلولة ومتخلفة، وعجز البرجوازية عن التصنيع ومن ثم ارتباك التحديث وعلاقتنا بالغرب بدءا من الهزيمة أمام نابليون حين شعر المسلمون لأول مرة بدونيتهم إذ أن «خير أمة أخرجت للناس» قد خلت بها الهزيمة أمام الكفار عكسا لذات القرآن ، ولأول مرة يجد المسلم نفسه فى وضع دقيق نفسيا وهذا ما تسبب عنه الجرح النرجسى كما يقول العفيف ، وكما يحتاج منا هذا الجرح النرجسى للكتابة والتحليل والتأويل خاصة وأننا مدعوون لتهيئة الوطن العربى لقبول المتغيرات الجديدة بأقل قدر من الخسائر المفترضة قبل أن تفرض علينا حلول خارجية كما يدعونا الدكتور سيد القضى الذى يؤكد على ضرورة أن تبقى منطقة الايمان والتعبد منطقة شديدة الخصوصية لا يصلح معها القسر ، كما أنه ليس هناك ممثل شرعى وحيد للسماء على الجماعة.

كذلك يقدم لنا الدكتور عاطف أحمد مخططا أوليا لدراسة الإسلام النقدى كان من المفترض أن يدور النقاش فى الندوة مع العفيف حول محاوره لكن مسألة الحداثة استغرقت الوقت كله وسوف يكون هذا الموضوع أساسا لندوة أخرى نحن فى أمس الحاجة لها ، خاصة وأن المفكرين الذين عرض لهم الباحث ليسوا مقروئين بعد على نطاق واسع يوما يزال عملهم محصورا فى إطار نخبة ضيقة نريد أن نسهم فى توسيع قاعدتها وإثارة اهتمام القارئ العادى بأسهامهم حتى يكون هذا القارئ بالتدرج طرفا فى الجدل الدائر حول علاقة الدين بالسياسة والمجتمع والحياة عامة.

ويكتب الناقد أحمد الشريف عن السودانى طارق الطيب «عندما تصير الذاكرة وطنًا وكأنه يحفر باستمرار لاستخراج ما هو غائب وجعله حاضرا ، والذاكرة وفق هذا التصور تعنى الهوية.

لدينا ثلاثة تجارب من العراق .. الديوان الصغير للشاعر سعدى يوسف المفعم

بالحنين للعراق والأسى لكل ما حل به «وكما كان عراق الوهم جميلاً» وقراءة فى رواية «نعمات البحيرى» أشجار قليلة عند المنحنى للشاعر والناقد العراقى المنفى «عواد ناصر» حيث نجد مساحة نادرة لتبادل الحوار والبوح وتجليات الضمير لامرأة وحيدة فى العراق «وحيث الكتابة فعل واع مقصود يتولى نقد التجربة وتفكيك الاشتباك الحاد وتعقب ردات الفعل وتحويلها إلى موقف أو طريقة للرؤية» بوتوفرت الرواية على عنصرى الابداع والتشويق رغم قسوة المادة الخام ووحشة المكان.

وفى مجموعة أخطاء صغيرة لعبد الحميد البسيونى التى يقرأها لنا د. رمضان البسطاوىسى يجرى قتل الحلم هناك فى العراق حيث للواقع سمات مختلفة تهدم وتدمر ليس الحلم فحسب ولكن بنية الإنسان الداخلية أيضاً لأن تجربة السفر إلى العراق تتم ضمن إطار التحولات الاجتماعية فى مصر وتجعل منها حلماً .

ويكتب لنا «خالد سليمان» عن عرض «الحلاج» للفنان أحمد عبد العزيز المولى بنص صلاح عجد الصبور «مأساة الحلاج» حتى أنه يعاود إخراجه بين الحين والآخر ويستخلص خالد من مفردات العرض رؤية للراهن العربى كما يليق بالنقد المسرحى الجدى إذ يشارك الجميع فى قتل الحلاج الذى تتعدد مستويات الرؤية له كصوفى زاهد وزعيم ثائر ورمز ووطن .. ذلك الوطن الصغير فى قصيدة «سعدى يوسف».

وليكن

كلها تسعى وراء الجوع .. سوداء مخيفة

يا محمد

إنها الأرض التى نحيا عليها

والتي ما زال من أجدادنا فيها بيوت

إنها أيضاً أرض «مروان البرغوثى» الذى يهدى إليه عبد الستار محمود قصيدته .

المحررة

التغيير . . أو الوصاية

« الخروج عن معلوم من الدين بالضرورة »
قاعدة إرهابية والتخلي عنها واجب بالضرورة

سيد ممدود القموني

بالإمكان التخلي عن القواعد التي
قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة
الجماعة تتطلب حكماً يغير الشرع
الفقه المالكي

في مناخ عالمي مختلف بالتمام عن كل ماسلف، يتحدد فيه التاريخ بما قبل ١١
سبتمبر ٢٠٠١ وما بعد ، ستتغير معه جغرافية بلدان، وتضيق أوطان وتتخلق أوطان،
وتتغير ثقافات وتذهب ثقافات . لم يعد مقبولا أن نظل نراوح مكاننا بذات الطرق والمناهج
السابقة لهذا التاريخ ، لأنها بالتحديد المناهج التي أدت إلى ما حدث وسيحدث ، وإلى

مانحن فيه من تخلف وهوان يتندر بهما الركبان .

ولأن مصائر العالمين يتم الآن رسمها وتحديدها ، فإن تأخرنا عن المشاركة في صنعها ، تاركين الساحة لعناتنا الناعقين الناعبين فوق الخراب ، الذين وصلوا بنا إلي مانحن فيه بسوقهم الخشبية ، غفلة منا أو تغافلا ، فسنكون آخر المغفلين على الكوكب الأرضي.

إن التخلف عن التفاعل الآن والفعل ، في لحظة تاريخية فارقة في تاريخ الإنسانية ، يعنى الاستمرار في ترك الفعل للفاعلين ، لنظل على قواعيدنا الخازوقية مفعولا بنا لفاعلين ، وهو مايعنى الآن خسارتنا الوجود ذاته. وعليه فإن صمت القادرين على المشاركة عن التفاعل مع الأحداث اليوم ، سيكون جريمة بكل المقاييس ، وإن يبرروا إذا تقاصوا عن المشاركة الجريئة التي لاتحمل التباسا أو تأويلا ، بنقد الطرق التقليدية في مفاهيمنا ومناهجنا وطرح الحلول الممكنة لتهيئة الداخل لقبول المتغيرات بأقل قدر من الخسائر المفترضة ، قبل حلول خارجية بالقسر ، آتية لاريب فيها .

ورجال الدين في بلادنا الذين وقفوا كسلطة تاريخية وراء مفاهيمنا ومناهجنا ، هم هيئة وظيفية كما هو معلوم ، تخرج بتكوينها وأغراضها عن روح دين الإسلام الذي لايعرف رجال دين موظفين ، يتقاضون على وظائفهم رواتب من جيوبنا ، يرفعون فوق أعناقنا سيوف التكفير والتخوين عند أى اختلاف معهم أو أى نقد لخطهم النظرى السائد . بينما الواضح لكل ذى عقل أن تاريخهم كان على طول الخط إلى جوار السلاطين ، ضد الناس الذين هم مادة الدين وغرضه الأرحد. وكونوا تحالفا سلطويا زيفوا من أجله وعى الناس وبنينهم ، وزادوا في دين المسلمين وأنقصوا منه ، وأخفوا ماأرادوا ؛ وأعلنوا مااتفق ومصالح تحالفهم، لتصب عملية تشغيل الدين الانتهازية عند أبوابهم ذهباً وفضة وعيشاً رغيداً . ومن ثم غلبنا إعادة النظر في الصفات والأفعال والأهداف ، التي يوصم بسببها الإنسان بالمرق والخيانة ، وتحديد موضوع المروق والخيانة ما بين الناس وما بين حلف العمام والسلاطين.

وضمن آليات الإرهاب التي استخدمها المتفقهون السلطاني ضد أى محاولة فهم

جديد ، قواعد استنوها سنانا فى مواجهة السؤال ، أشهرها وأكثرها تفعيلًا قاعدة "الخروج عن معلوم من الدين بالضرورة" . وإذا ذهب بنا المنطق والعقل إلى أن المقصود بهذا المعلوم هو الجانب الطقوسى المتعبدى من الدين (العبادات) ، إذا ما اختار الإنسان دينه عن عقل وروية وقبل بشروطه التعاقدية ، فإن رعاية الدين عندنا يسحبون القاعدة بكل اجترأ على (المعاملات) أيضا . هذا رغم أن العبادات ذاتها هى شأن بشرى خالص يقوم على اختيار الإنسان الإرادى الحر ، ولا يمكن فرض الرقابة عليه لمعرفة كمية الإيمان أو مساحته أو كتلته أو وزنه بمعايير دقيقة واضحة تصلح للتطبيق على الجميع ، ضمانا للعدل عند التفتيش ، كما فى مقاييس الكيلو متر والكيلو جرام وتفصيلهما . فمنطقة الإيمان والتعبد منطقة شديدة الخصوصية لا يصلح معها القسر ، لذلك لا بد لذى الحجة أن يصاب بالدهش أو الصعقة والترويع أمام شئ مثل الاستتابة قبل تطبيق حد الردة (١٩) الذى هو لبون صارخ من القهر والعسف والإرهاب على مجرد اللسان وليس على قلب الإنسان ، لأن مكتون الضمير يظل ملك صاحبه وحده حيث ليس لأحد هناك سلطان . وهم يفعلون ذلك بغرض أوحده ، هو إثبات سلطانهم لأن المخالف يستلهم شيئا من سلطة القرار والرأى بالدين على الناس ، حتى يظل حكرأ عليهم وحدهم ينتقون منه مايتطلبه الهوى وضرورات العيش فى البلهنية ، لذلك فمخالفة فهمهم أو تفسيرهم لشأن من شئون الدين المحنط فى خزائنتهم ، تصل بصاحبها إلى الإعدام ، لضمان عبودية الجميع لسلطانهم وخطهم النظرى .

وكم من إيمان مطن يخفى وراءه فساداً وشروراً ، أو جهلاً وحمقاً ، سواء فى الفهم أو فى السلوك ، عن طيب نية أو سوء نية . وكم من جرأة على الثبات والتقليد السائد تحمل روحاً فدائية لصالح الناس ، وإيماناً حاراً طاهراً من الشوائب .. وهنا لا بد أن يطرح السؤال نفسه بين الموقفين : من يستحق أن يحكم على من ؟

وإعمالاً لهذا جميعا ، نجد موضوع (العبادات) مرهوتا فى مساحة علاقة الإنسان بإيمانه ، فى مساحة الحرية الداخلية المطلقة ، اللهم إلا إذا كانوا يربنون اعترافا علنيا من الجميع بتفسير أوحده لاشريك له هو السيد الزهنى الذى يمثلونه ، وأنهم الممثل

الشرعى الوحيد للسماء على الجماعة ، دونما إخلاص حقيقى لا اله ولا للجماعة فهذا الموقف تحديداً هو مافتح من أزمان بابا واسعا للانتهازية والنفاق ورخص الدين ، والكذب على الذات وعلى الناس وعلى الله . والاعتیاد عبر الزمن على هذه الملكيات تحت مظلة الشرعية الدينية ، وهو ما شكل لى عقل صاحـ خيانة دائمة وتاريخية للذات وللجماعة ولصالحها وللوطن .. من الكل للكل.. من السلاطين ومن فقهاء السلاطين وغيرهم من متفقيهم أجرة وملاكى ، ومن المثقفين ، ... للناس (!!) وأيضاً .. من الناس .. للناس !؟ .

فاذا كان هذا شأن (العبادات) المفترض جدلاً أنها المعلوم من الدين بالضرورة ، فلاشك أن (المعاملات) ستقع على مسافة أبعد من هذا المعلوم . لأنها تتعلق بمعاش الناس وبمصالحهم الدينية البحتة ، وترتبط بخطوات آتات الزمن المتحركة دوماً بلا توقف ، المتغيرة أبداً . لأن التغير سمة الانتقال عبر الزمن بالضرورة ، لهذا فقواعد المعاملات لن تستجيب بالاحتم لتغير الواقع المتجدد ومآله المتاحف ونحن معها ، إن لم توضع قيد المناقشة وإعادة التقييم والنظر فى أحكامها ، وضرورة هذه الأحكام من عدمها .

لذلك يبين لنا أن القاعدة المذكورة عالية ، ليست أكثر من قاعدة إرهابية بيد إرهابيين يستخدمها إرهابيون ويطبقها إرهابيون ، فيكفى فى بلادنا أن تصدر فتوى بردة مسلم حتى تتطوع لقتله آلاف الأيدي متوضئة أو نجسة أو قدرة ، ممن له علاقة أو ممن ليس له ، ممن هو قاصم للقول ، أو ممن لا يكون يفقهون قولاً .

ولم يحقق تطبيق هذه القاعدة الإرهابية على عقول الناس بفرض امتصاص أرواحهم سوى مانحن فيه الآن على كل المستويات ، فمع الخوف رهبة والسكوت خنعة ، وعدم المخالفة أو النقد أو إبداء الرأى ، لابد أن تتعدم الحريات التى هى الأساس التحتى لى إبداع إنسانى أو رقى حضارى ، هما قوة الأمم وكرامتها . ولا يبقى على السطح إلا الأفاقون والمتنفعون والفاستون فى تحالف تاريخى يبهز الناظرين بجلائه وسطوعه وبيانه . بعد أن تشكلت طبقة اكليروس إسلامى تحرم وتعاقب أو تمنح الغفران ، الحق عندها وحدها والمخالف متهم دوماً باستناده إلى روايات ضعيفة وخارج على الإجماع ، رغم أن أسانيدهم تعتمد أمهات أسانيدهم . بل إن هذا الاكليروس يعطى نفسه وحده حق الانتقائية

الانتهازية وقتما شاء ، والتناقض وقتما أراد ، فى تاريخ مسطور يؤكد أنهم لا يحترمون الدين حقاً ، ولا يبيغون وجه الله صدقاً . إنما هو التكالب على الدنيا على حساب الناس وباسم الله . لذلك تركتنا الدنيا فى تطورها هاهنا قاعدون .

ولأنهم لم يراعوا مصالح الناس التى هى مع المتغيرات ، ولا يعترفون لهم بحقوق استوت عليها إنسانية البشر فى العالم ، فإنهم يكونون قد استقالوا من واجباتهم المفترضة ، ولا يصيح من حقهم لوم من يحاول ملء الفراغ اليوم ، ناهيك عن كونهم لا يملكون حق هذا اللوم . ولأن من حق الناس أن يعتبروا التشريع حقاً لهم يصنعونه وفق حاجاتهم وظروف زمنهم ، وليس تعبيراً عن مشيئة غائبة يعبر عنها لاهوتهم الكهنوتى ، وينوب عنها وظيفياً نونما صكوك تعيين ريانى واضحة .

ونوما يدعوننا رجال الفقه والدعوة أجرة وملاكى العودة إلى حياة السلف الصالح ، مصورين للناس الطيبين فى بلادنا أن هذا السلف كان جماعة مثالية فوق بشرية ، وأن صحابة رسول الله قد نذروا أنفسهم فقط من أجل الإسلام وله نون مطامع دنيوية ، معتمدين على عدم إمكان الناس إيجاد وقت للقراءة أو المعرفة مع كدهم الدائب وراء لقمة العيش ، لتحرير هذه الكذبة التاريخية الكبرى ، حيث تكذبهم سلوكيات هذا السلف حالما مات نبيهم ، وانقسامهم شيعا وفرقا وجيوشا تتقاتل وتسفك دماء بعضها البعض من أجل السلطان والدنيا وعرضها ، مما يجعلك فى حيرة بشأن الفئة المطلوب الاقتداء بها من هذا السلف ، من بين الفرق والشيع والمذاهب المتنافرة المتنازعة المتصارعة الكارهة لبعضها البعض ، المكفرة لبعضها البعض (١٩)

وحتى لو تصورنا جدلا أنهم يطلبون منا (مثلا) الاقتداء بكبارهم الاعلام كائى يكر بن أبى قحافة أو عمر بن الخطاب ، فان هذا الطلب سيفقد غريباً مع القاعدة التى استنوها حول المعلوم من الدين بالضرورة . لأن هؤلاء الكبار الاعلام النماذج هم أول من خالف القواعد عندما تغير الزمن ، وعندما احتاجت مصلحة الجماعة للمخالفة ، وخرجوا على أى قواعد عندما تعلق الأمر بصراع السلطة وبهرة السيادة .

ولأن التاريخ الإسلامى كتاب مفتوح ليس حكراً عليهم ، تعالوا نطل منه على الكبيرين

نقتدى بهما كما يطلبون منا ، أو لنعرف - وهذا أضعف المطالب - كيف كان هذان النموذجان يسلكان فى المناطق المفصلية الفارقة بين الدين والدنيا .

ولنبداً بأبى بكر .. وهو من هو .. أبرز المبشرين بالجنة ، الصديق ، خل النبى الوفى ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، أول وزير فى دولة النبى وأول الخلفاء من بعده ، أب عائشة الحمراء التى عنها نأخذ نصف ديننا .. ولكل هذه الصفات لا يمكن لأحدنا أن يشك أنه كان يقرأ أو يعلم ويحفظ الآية « واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسة وللرسول ولأذى القريبى / ٤١ / الأنفال » ومع ذلك ، ورغم هذا النص الواضح القاطع (المعلوم) بالضرورة (واعلموا ..) . فإنه عندما ذهبت فاطمة بنت محمد نبى الأمة ومؤسسها ، فاطمة الزهراء أم الحسين ، فاطمة زوجة على ابن أبى طالب الذى كرم الله وجهه .. عندما ذهبت إلى أبى بكر عند توليه الخلافة تطالب بحصتها الموروثة عن أبيها من أرض خيبر ، ويأرض فدىك التى كانت خاصة لأبيها ، وأعلمت الخليفة أن أبيها كان قد منحها لها .. طالبها أبو بكر بالبرهان (١٩) .. فشهد لها زوجها وشهدت لها أم أيمن حاضنة النبى ، لكن الخليفة لم يقبل بشهادة ونصف فلأيد من شهادتين كاملتين شرعا (١٩) .

ولاتفهم وأنت تطالع كيف طلب الخليفة شهادات على مطلب الزهراء ، مع ما أرفده عما سمعه حديثاً من النبى يقول : « الأنبياء لا يورثون فما تركوه صدقة / البخارى ٢٧/٢ » . فإن كان الحديث معلوماً لديه وصحيحاً فلماذا طلب الشهادات ويده أمر شرعى يمنع الجدل حول الأمر أصلاً ؟ لكن فاطمة ردت على ماسأله حديثاً بأية قرآنية مما جاء على لسان النبى زكريا عن ابنه يحيى " ويرثنى ويرث من آل يعقوب / ٦ / مريم " ، ومع ذلك لم يقبل الخليفة ، ووقف عمر إلى جواره وعضد موقفه ، فقامت الزهراء تعلن سخطها تذكرهم بقول أبيها « رضى فاطمة من رضى وسخط فاطمة من سخطى » ، ثم اتبعت بوعيدها « انى أشهد الله وملائكة أنكما اسخطتماني وما أرضيتاني ، ولئن لقيت النبى لأشكونكما إليه / أنظر تفسير الفخر الرازى ٢٩ / ٢٨٤ والسمهودى فى وفاء الوفا ٩٩٩/٢ وابن الاثير فى الإمامة والسياسة ١٤/١ » . وظلت بنت النبى مخاصمة لأبى بكر حتى ماتت ، وبادلها بدوره المشاعر فلم يؤذن بموتها (البخارى ١٧٧/٥ ، ١٧٩) .

هذا حدث عظيم يمر عليه سادتنا المشايخ ولا يذكرونه ويتركونه على حاله دون تحديد موقف واضح ، فهو يعنى أن فاطمة بنت محمد كانت مع على كرم الله وجهه مع حاضنة النبي أم أيمن يكتبون ويريدون النصب على المسلمين وخليفتهم والتحاليل عليهم ، وهو مايعنى أيضا أن الحديث الذى ذكره أبو بكر « الأنبياء لا يورثون » قد نسخ آيتين قرآنيتين : الأولى النص على خمس الغنائم للنبي وذوى القربى ، والثانية التى تصرح بتوريث الأنبياء كما فى توريث يحيى لذكريا ، وهو مايعنى ثالثا أن الكذب والافتراء كان دأبا معلوما من فاطمة بدليل أن أبا بكر طالبا بمن يشهد على صدقها ، وهى من هى .. وهو كله مالا يستقيم مع قيمة تلك الشخوص ومكانها وقدرها وكرامتها ولاحتى مع القرآن ذاته . وهو مايعنى رابعا أن أبا بكر اتخذ قرارا يخالف نصوصا قرآنية ثابتة وصريحة ، رغم أن تلك المخالفة تعنى خامسا قضية منوية لآل بيت النبي تصممهم بالفش والتحاليل ، ومع ذلك فعلها أبو بكر معضداً من عمر . ومن جانبهم لايرى الشيعة سببا له سوى كراهة أصيلة فى الرجلين لعلى ومعه بالطبع زوجته حتى لو كانت بنت النبي ، لأنه كان يوما المنافس الأكثر شرعية على السلطان ، لهذا لايتورع الشيعة حتى اليوم عن لعن الرجلين من على منابر المساجد ... فما هو ياترى مكان أبى بكر وعمر من قاعدة المعلوم من الدين بالضرورة ؟ وهما من هما ؟ وهو مايستدعى همومنا اليوم، وأن التخلّى عن أحكام ونصوص أو تعطيلها ليس بجريمة بدليل سكوت فقهاء السنة عن تلك الحوادث الجسام . وأن التخلّى أو التعطيل ليس جرما مع تلك الأمثلة خاصة بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا تغير فيها وجه الدنيا ووجه العالم وملامح الإنسانية ، وسيكون ذلك اقتداء بالسلف الصالح ، ليس كراهة ليزيد ولاحبا فى على ولا انزعاجا من أبى بكر ولاسخطا على عمر ولا فضماً لآل بيت كريم ولا من أجل الصراع على السلطة ، إنما من أجل مصلحة البلاد والعباد . ثم يظل الموقف جميعه السؤال عن يجب أن تصدق فى تاريخ الإسلام إذا كانت فاطمة بنت محمد بحاجة لتقديم الأدلة على صحة أقوالها ؟ وترى هل يجد أصحاب قاعدة المعلوم بالضرورة أنفسهم أولى بالتصديق من الزهراء ؟

هذه واحدة .. ولازلنا مع الصديق (؟؟)



والثانية ، ماحكته لنا كتبنا التراثية وأجمعت عليه عما ارتكبه خالد بن الوليد قائد
عسكر أبي بكر من مجازر وحشية تهتز لها مشاعر غير المسلمين قبل المسلمين إن
طالعوا أخبارها ، وارتكبتها في حق مسلمين رقصوا التسليم بخلافة أبي بكر احتجاجا
لأنهم لم يستشاروا في أمر خلافة ، عملا بنصوص القرآن التي تعطيهما هذا الحق
«وأمرهم شورى بينهم / ٢٦ / الشورى » . (و الأمر) لغة عند العرب وفي ذلك الزمن
هو بالتحديد (الحكم) . واعتبر هؤلاء المعارضون أن أداء ضريبة المال لأبي بكر تعنى
اعترافهم بشرعية حكمه عليهم وهو مايرفضونه فمنعوا أداء الزكاة إليه ، بأسلوب ذلك
الزمان للتعبير العلنى عن رفضهم شرعيته وتمسكهم بحقهم المشروع لهم قرآنيا . فأمر
أبو بكر بقتالهم فيما عرف في تاريخ الإسلام بعنوان مزور كاذب هو (حروب الردة) .
لأن هؤلاء لم يرتدوا حتى أن عمر نفسه سجل أول مخالفة صريحة لأبي بكر في هذا
الشأن تحديداً ، وشهد لهم بإسلامهم الذى يعصمهم ما لهم ودمهم ، لكن أبا بكر قرر
وأنفذ قراره .

ومعلوم أن تلك القبائل التى نصفها ظلما بالردة لم تكن زول المعارضين ، فقد سبقها
جميع بنى هاشم وجميع بنى أمية آل النبى قبييلة إلى الامتناع عن مبايعة أبى بكر . ثم
بايع بعضهم تحت التهديد القاسى كالإمام على وطلحة والزبير عندما حصرهم عمر بن
الخطاب فى بيت على مناديا : « والله لأحرقن عليكم البيت أو لتخرجن إلى البيعة /
الطبرى / التاريخ / ج ٢ / ص ٢٠٢ » . أما الصحابى الأنصارى الجليل سعد بن عبادة
أحد النقباء الاثنى عشر بزعم الخرج أحوال النبى ، فقد قال لهم : « والله لأبابع حتى
أرميكم بما فى كنانتى من نبل وأخضب سنان رمحى وأضربكم بسيفى وأقاتلكم بمن
أطاعنى من قومى » ، وبقي لا يصلى بصلاتهم ولا يحج ولا يفيض بافاضتهم / الطبرى ج ٢
/ ص ٢٢٢ » ، ثم بعد ذلك عارض خلافة عمر وظل يعلن ذلك حتى تم اغتياله . الأمثلة
كثيرة ، والتفاصيل أكثر ، نحيل إليها المسلم فى نماذج من المصادر تمثيلا لاحصرأ
ومنها فتن بن ماجة فى بابہ الاول من جزئه الثانى ، وسنن البيهقى ، وصحيح مسلم ،
وغيره كثير ويعمد أولو الأمر منا إلى إخفائه عن الناس فى خطبهم المنبرية وأحاديثهم

التلفازية ، وإن اضطروا لمواجهته بحثوا له عن أوهن مساحيق التجميل لجعل الصحابة صنفاً فوق البشر ، وحجبا لسمامة الرؤية وحتى الاجتهاد مع المتغيرات ، والأهم الحفاظ على مناصبهم مسلوطة فوق رؤوسنا بسيوف التحريم والمنع والإرهاب.

فماذا عن ابن الخطاب ؟ الذى أعز الله به الإسلام ، ومن أبرز المبشرين بالجنة ، وجاء القرآن مؤيداً لاقتراحاته وأفكاره عدة مرات فتحوّل لستور سماوى ، وأب حفصة أم المؤمنين زوج النبی ، ووزير النبی ... مرة أخرى نسوق الأحداث ضرباً للمثل لاحصراً فقصدنا التأكيد على هدف هذه الدراسة وليس مجرد تصيد الهفوات ورصدها ، فهذا أبعد مايكون عن غرضنا .

لايخلو مصدر فى التاريخ الإسلامى أو فى كتب الحديث النبوى الصحاح أو السير أو الأخبار أو سجلات الفتى ، من ذكر موقف ابن الخطاب من النبی وهو على فراش الموت مهموماً بأتمته ، يطلب صحيفة ونواة من صحابته ليكتب لهم كتاباً لايفضلوا بعده أبداً (برواية طبقات بن سعد ٢/٢٤٣) . أو برواية أفصح : « قال قبل موته إيتونى بنواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم المستحق لها بعدى ، فقال عمر : دعوا الرجل إنه يهجر وقيل يهذو/ سر العالمين للإمام الغزالى ص ٢١ وسيط بن الجوزى فى تذكرة الخواص ص ٦٢ ».

عند تحديد أمر السلطة من بعده ، والاحتمال الأرجح كان لابن أبى طالب زوج الزهراء ، وعلى فراش الموت بين صحابته ونسائه وآل بيته ، تحول النبی إلى مجرد (الرجل) !! وعليهم باهمال مايقول لأنه (يهجر) أى (يهذى) . ونحن نعلم أن أصحاب قاعدة المعلوم بالضرورة يصرون على تصديق حديث هام ويتعلمون لتطبيقه تلمذ الأفاضل ، وهو القائل : « من سب نبياً فاقتلوه » ، وبهذا الحديث تم إعدام مسلم باكستانى منذ ثلاث سنوات أو حوالى ذلك ، وقيل : إنه سب النبی .. فماذا عن (يهذى) العمرية ؟ ثم ماذا عن مسلم فى زمننا صادق اليقين بنينه يحنى رأسه إجلالاً لنبیه ، لا يطلب إلا تجاوز الثبات والسير مع المتغيرات ، إيماناً منه أن فى ذلك صلاح البلاد والعباد ؟ هل يكفر ؟ .. أم .. اقتلوه ؟ ..

ولأن الشئ بالشئ يذكر .. ماذا عن الأزهرى الراحل الشيخ محمد الغزالي الذي ذهب يشهد فى محاكمة الإرهابيين الذين قتلوا المفكر المصرى الكبير فرج فوده ، فأباح لأى مسلم قتل أى مسلم آخر مرتد . وتحولت أقواله إلى فتوى فى صحيفة الشعب بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٣ ، وفصلها رحمه الله وتجاوز عن سيئاته للسيد صلاح منتصر بالأهرام من ٧/٢٠ وحتى ١٩٩٣/٧/٢٥ . ولاشك أننا نذكر من الذى أفتى بارتداد فرج فودة ، وهم جماعة مايسمى بجمية علماء الأزهر ، وعلى رأسها الشيخ يحيى إسماعيل حبلوش المكفرا تى . وهى فتوى كانت كفيلا فى أى دولة محترمة تحترم نفسها و دستورها وقانونها ، بإحالة تلك الجماعة للمحاكمة الفورية بتهمة التحريض على القتل والمشاركة فيه بل والدعوة إلى تشريعه ، وعلى أية حال مازالت تلك الجماعة تجتمع وتقرر وتحرض ، ولاشك بإسادة أن مصر من الدول المحترمة .. وبالقانون بإسادة .. بالقانون .

ونعود إلى المعلوم من الدين بالضرورة ، وضمن هذا المعلوم الآية « وأمرهم شورى بينهم » ، وهو المعلوم الذى تنسفه ابن الخطاب نسفا ليس مرة بل مرتين : الأولى بمشاركة أبى بكر عند قبوله الولاية بالاستخلاف من قبل أبى بكر الذى كان لابد أن يضمناها له كما سبق لعمر وفعلها . معه ، إذ قال أبو بكر للناس : « أترضون بمن استخلف عليكم ؟ فأنى والله ما ألوت من جهد الرأى ولاوليت ذا قرابة . وإنى قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا / الطبرى ٤ ص ٤٢٨ » .. ولاتعلم من هؤلاء الذين سمعوا وأطاعوا ، ومن كانوا يمتثلون ؟ وكيف كان عددهم ؟ وماذا عن باقى مسلمى الجزيرة ؟ ناهيك عن معارضة بنى هاشم وبنى أمية هذا الاستخلاف علنا ، كما سبق وامتنعوا عن بيعة أبى بكر .

والثانية .. عند موته ، فقد تخير وهو على فراش الموت ستة أشخاص ليختاروا الخليفة من بينهم حددهم بالاسم وطلب حضورهم لأنه كان يعلم بطمعهم فى السلطة بعده ، وهو ما يوضحه سؤاله لهم عندما حضروا : « أكلكم يطمع فى الخلافة من بعدى ؟ » ، ثم قام يعلن لهم عن رأيه فيهم ، فالزبير فى رأيه « سبى الخلق لا يستقيم على وجهه ، يوما إنسان ويوما شيطان » ، وطلحة « لا يقول من الخير شيئا ومات الرسول ساخطا عليه » ،

وعبد الرحمن بن عوف « رجل ضعيف » ، وعلى بن أبي طالب « فيه دعابة » ، وعثمان « سيحمل بنى أمية على رقاب الناس » .. (أنظر فى ذلك ألسفيانية للجاحظ ، ونقلها العجلانى ص ١٠١ من عبقرية الإسلام وأصول الحكم ومابعدهما) . وهنا لابد لسؤال مشروع أن يقفز : إذا كان هذا رأى عمر فى هؤلاء الرجال فعلام كان اختياره ؟ ولماذا؟ >> ولو تركنا السؤال إلى النتيجة فهى بلا جدال ولا مكابرة النصف الثانى لمبدأ الشورى .

مرة أخرى نكرر .. هذا فقط ضرب مثل فالتفاصيل تند عن الحصر ويعلم بها سادتنا المشايخ ، لا قصد لنا منها غير التأكيد من سلامة وضرورة قاعدة الخروج عن المعلوم ، فى ضوء مواقف السلف الصالح الذى يطلبون منا الاقتداء به ، فى قراءة لاهداف لها سوى وجه الناس ، الذين يبيع لهم مشايخ الجبهة وأمثالهم الأوهام ، ويفرشون لهم الطريق إلى الله بالدم . ومن ثم فقد علمنا أن الصحابة قد خرجوا على المعلوم (طمعا) بالسلطان بتعبير ابن الخطاب ، لأنهم كانوا بشرأ كالشجر ، ثم خرجوا مرات أخرى لصالح البلاد والعباد عندما فرضت المتغيرات نفسها . وهو ماتمثلة نموذجيا مواقف وقرارات الخليفة عمر خلال عشر سنوات فقط هى مدة حكمه (من ٦٣٤ إلى ٦٤٤م) .

فقد اتسعت الدولة وأصبحت إمبراطورية تمتد من إيران شرقا إلى مصر غربا ومن الشام شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا ، وماكان بيد العرب ولا بيد عمر معرفة سابقة ، ولا وسائل (تهدى) إلى إدارة هذا الشاسع العظيم وتنظيمه وضبط أموره . فما كان من عمر إلا أن (اهتدى) بخبرة المجوس الفرس وبتراث الروم المسيحيين فى شئون الإدارة والحكم . وأنشأ عنهم (الديوان) وليس من سنة ولا قرآن ، ومن ماثور بلاد كانت فى حكم الكفران ، ولم يعتبر ذلك غزوا ثقافيا للإسلام . كما تحول بالجهاد العشوائى إلى الجيش المنظم فى حرفية مهنية لوظيفة الجندية مثل تلك الدول والحضارات واقتداء بها .

وفى عام الرمادة عطل تطبيق حد السرقة فى حادثة مشهورة ، بل وتعالى نبرة مخالقاته للنصوص عندما نهى عن متعة حلال مخالفا نصا قرآنيا واضحا « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم / ٨٧ / المائدة » ، وذلك فى حادثة أشهر عندما وقف على المنبر وقال : « متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما

: متعة الحج ومتعة النساء « ويمكن الرجوع بهذا الخصوص إلى تفسير الفخر الرازي للآيات : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج / البقرة » و « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن / النساء » .

أما الأبعد حقا في الاجتهادات العمرية فهو إلغاؤه فرضا من فروض الله المقررة بنصوص قرآنية قاطعة ، وهو سهم المؤلفة قلوبهم بالآية « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم / ٨٠ / التوبة » .

وإعمالا لتلك الأمثلة القصار نطلب في ضوء مواقف السلف الصالح إعادة النظر في قاعدة « الخروج عن معلوم من الدين بالضرورة » ، بل والتخلي عنها كواجب ضروري لفتح أبواب الاجتهاد والحريات مواكبة لتغيرات الزمن . ونقول للفقهاء على أصنافهم : إرفعوا أيديكم عن عقل الناس وعن البلاد ، فسلطنا الصالح لم يخضع لمثل تلك القواعد وأعمل رأييه وفكره وعطل وأوقف وخالف ، لكنهم أقاموا دولة قوية مقتدرة لم تكن تعرف بعد رجال الكهنوت .. والأهم هو أن ترفعوا أيديكم عن إسلامنا فقد أن لنا أن نسترده من متاحكم بغض النظر عن مصالحكم ، فلم يعد لكم علينا من سلطان ، بعد أن أوصلتمونا إلى كل هذا الهوان ..

لقد أثقلتم صدورنا طويلا .. وكتمتم أنفاسنا طويلا .. لا سامحكم الله .



إشكالية تحديث الفكر العربى ومفهوم الإسلام النقدى

د. عاطف أحمد

من أهم الإشكاليات التى تواجه مجتمعاتنا العربية حالياً هى إشكالية كيف يمكن لنا أن نفكر ونشعر ونسلك بطريقة متوائمة مع التطورات المعرفية والمجتمعية الحديثة ، بحيث نصبح نوى فعالية فى التأثير فى واقعنا وفى تطويره وربما كانت بداية تحليل تلك الإشكالية هى رصد الملامح العامة لتاريخ علاقة مجتمعاتنا بالحدائق التى تطورت تاريخياً ونضجت فى أوروبا .

فبينما كانت عملية التحديث فى أوروبا داخلية المنشأ - وإن أسهمت فيها بطبيعة الحال ظروف خارجية ملائمة - وكانت تتم على مستوى الممارسة قبل أن تتبلور فى إطار نظرى وكانت متطلباتها تطرح فى الواقع المجتمعى قبل أن تتجسد فى

إطار تشريعي تقوم به الدولة ، فإن عملية التحديث في المجتمعات العربية سارت في الاتجاه المعاكس.

فقد فوجئت المجتمعات العربية بأن جزءا من العالم يتغير ويتبنى أساليب جديدة في التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفي التفكير وفي الحياة اليومية ، وأنه بسبب ذلك أصبح يملك أدوات القوة والهيمنة ويفرض مصالحه على غيره من المجتمعات . وهكذا اقتحمها عالم الحداثة من خارجها . لم تحدث إذن تطورات داخل تلك المجتمعات تؤدي بها إلى الحداثة ، كذلك لم تتضح على مستوى الممارسة الاجتماعية أوضاع تطرح فكرا حداثيا على المستوى النظري . بل كانت الدول ومتقفوها ، في تلك المجتمعات ، هم الذين يتبنون بعضا من فكر ونظم الحداثة ويحاولون تطوير مجتمعاتهم في ذلك الاتجاه ، أو كانت قوى محتلة غربية هي التي تقوم بتلك العملية في بعض القطاعات .

لذلك جاءت عملية التحديث في مجتمعاتنا أولا : مشوهة : تتبنى بعضا من المنظومة الحداثية دون البعض وتمس جانبا أو قطاعا من الواقع الاجتماعي دون الآخر ، وثانيا : خارجية : تتعامل مع سطح المجتمع دون عمقه الداخلي وتكتسب بعض المنجزات المادية للحداثة دون ألياتها المنتجة لها .

ولذلك أيضا ، وتحت تأثير نفس العوامل ، ظلت البنيات العقلية والنفسية ، في جذورها العميقة مرتبطة بقيم ومشاعر وآليات ماقبل الحداثة ومرتبطة بنمط وإيقاع الحياة الريفية . وظلت بنيات الولاء والانتماء ومرجعية التفكير والعمل مرتبطة بالمؤسسات الاجتماعية لما قبل الحداثة (العائلة الممتدة ، المؤسسة الدينية ، الحكم الأبوي القائم على منطق الوصاية من أعلى) . وأخيرا ، ظل الموروث الثقافي فاعلا مؤثرا في وجداننا وطريقتنا في التفكير .

الموروث الثقافي الديني :

فالموروث الثقافي يمارس تأثيرات متعددة المستويات والأنواع على الفئات الاجتماعية المختلفة في كل من الريف والحضر . وتتخذ تلك التأثيرات أشكالاً عديدة منها :

أن الموروث الثقافي (الدينى)

(١) يتخذ كمرجعية نصية للمؤسسات الدينية التى تتلقى منه تلك النصوص التى تلائم توجهاتها السلطوية ، وكذلك فالمؤسسات التعليمية الرسمية تتبنى توجهات تقليدية خاصة فى المواد اللغوية والأدبية . أضف إلى ذلك أن التيارات السياسية الدينية ، سواء اتخذت طابع النشاط السلمى ، أم طابع العنف المسلح ، تتخذ التأويل السياسى للموروث الدينى مرجعية لها تضى على أيديولوجياتها طابع التقديس بصورة أو أخرى خاصة لدى الجماهير ذات الوجدان الدينى.

كذلك قد تتبدى تأثيرات الموروث الثقافى فى تشكيل العقلية الوجدانية التى نجد لها لدى عدد غير قليل من المثقفين المنتمين لمختلف التيارات الفكرية العربية . والعقلية الوجدانية ، فى حالتها النموذجية ، تتسم بالإيمان اليقينى بصحة ما لدى الشخص من تصورات ومفاهيم ، ورفض الاحتكام - أو النظر إلى أية معطيات يكون من شأنها تغيير أو تعديل تلك التصورات ، وإقامة حد فاصل بين من يشاركه تصورات ومن لا يشاركه ، بحيث يتم التعامل مع من يخالفه الرأى بصورة عدائية ومتعالية ، وينظر إليه بنوع من الريبة والاشتباه فى وجود نزعة تأمرية ضده ، ويشعر بأن من يخالفه الرأى إنما تحركه المصالح التى تجعله - رغم احتمال علمه بضواب وجهة النظر المغايرة - يزيغ الواقع حتى يتغلب عليها .

فهى عقلية يقينية قطعية ، ترى العالم من خلال ثنائية إما / أو - وأنا / والآخر . وغالبا ماتكون محملة بشحنة عاطفية قوية وتحيز انفعالى حاد وغضب من أى

رأى مخالف. وقد تتبدى تأثيرات الموروث الثقافى فى حالة الازدواجية القيمة التى نلاحظها أحيانا لدينا ، بمعنى تبنى قيم معلنة مخالفة للقيم الفاعلة أى الموجهة للسلوك الفعلى ، فالقيم المعلنة تستمد غالبا مما تمليه علينا معاييرنا الموروثة، ولكون تلك المعايير مغايرة للواقع ، تجئ القيم الفعلية مخالفة وغالبا مناقضة لها . وينتج عن ذلك ازدواجية بين الخطاب والممارسة . حيث يصبح الخطاب بمثابة أيديولوجيا معلنة لاتعنى أكثر من دلالتها الخارجية أو يصبح مجرد النطق اللفظى مكافئاً للتحقق الفعلى فيكتفى به دون التفكير جديا فى ارتباطه بفعل أو إنجاز مافى الواقع .

كذلك فأحد ملامح تبنى الموروث الثقافى هو تقديس العصر التأسيسى. فكثير من الكتابات ذات الاتجاهات المختلفة تستثنى العصر التأسيسى فى التاريخ الاسلامى من مواصفات السياق الاجتماعى الثقافى والبيئى التى يخضع لها الاجتماع البشرى فى كافة الأزمان. ويجعلنا نتصور إمكانية استعادة تلك الصورة التاريخية كما رسمناها فى أذهاننا دون اعتبار الخصائص وضرورات التطور التاريخى والحضارى.

الموروث الثقافى :

كذلك تتبدى تأثيرات الموروث الثقافى فى المعتقدات والطقوس الشعبية التى هى أقرب إلى الفكر الخرافى . فهى تعبير عن تلاقى بعض العناصر الغيبية فى التراث مع المعتقدات والأساطير البدائية القديمة . والتى تجد مناخا ملائما لانتشارها فى أوقات الأزمان الاجتماعية وداخل أوساط ثقافية لم تتأصل فيها قيم العقلانية.

ويشكل الموروث الثقافى مصدراً أساسيا لشعورنا بهويتنا الخاصة كأمة ذات شخصية متميزة . وبطبيعة الحال ، فالمجتمعات بحاجة إلى الشعور بهوية ثقافية ما تمنحها الخصوصية والانتماء والتماسك . لكن المسألة هنا هى أن الهوية مالم

تكن ذات نبع متجدد متوافق مع الواقع المتطور ، فانها تنزع إلى التيسر وتفقد فاعليتها . ومن هنا أهمية الوعي النقدي بالمرورث الثقافي .

والملاحظ أن بناءات السلطة في العالم العربي ، تقوم في جانبها الأيديولوجي ، على استخدام المرورث الثقافي (الديني خاصة) لإضفاء المشروعية على السلطة القائمة ، فتبدو في مظهر المحافظ على القيم والمعتقدات الدينية ، في حين أنها تنتقي من بين تلك القيم والمعتقدات ، أشد التيارات تدعima للنزعة السلطوية والغيبية ، وتقصى أية تيارات مستنيرة أو ذات نزعة تحررية .

كذلك يرتبط بالمرورث التراثي مركب نفسي - سلوكي ذو طابع ذكوري يتميز بخاصتين بارزتين . أولاهما عقلية الوصاية الأبوية ، وثانيتهما مركزية الجسد الأنثوي في اللاشعور الجمعي .

والوصاية الأبوية لا يقتصر نفوذها على أنماط العلاقة داخل الأسرة ، بل يمتد إلى المجال السياسي ، حيث ينظر إلى الحاكم باعتباره يمثل صورة الأب بالنسبة للجميع ، ويمنح بمقتضى ذلك خصائص وسلطات فردية مطلقة بينما يتوجب على الرعية طاعة أوامره وتعليماته .

أما مركزية الجسد الأنثوي فهي متحققة في الثقافة العربية بمختلف مستوياتها ومختلف مراحلها حيث يحتل موضوع الجنس مكانة متفردة ، وحيث تعامل المرأة - بل وتعامل مع نفسها - باعتبارها متاعا للرجل ، وملكا له وحيث تكتسب الذكورة معاني الفحولة والهيمنة والاختضاع .

وأخيرا ، وربما الأكثر أهمية من كل ماسبق ، فالمرورث التراثي هو المضدر الفكري لتدين الحياة المدنية ، أي الحياة الاجتماعية بمختلف مجالاتها السياسية والثقافية والاقتصادية ، حيث يصبح التفكير في مثل هذه المجالات خاضعا ، لا لسلطة العقل والتجربة والخبرة الإنسانية ، بل لسلطة معرفية ذات

مرجعية فوق بشرية . وهو موقف معرفى لا يقتصر على توجهات الاسلام السياسى بل يتجاوزه إلى الفكر الإسلامى بمختلف تياراته.

ولعل من الجدير بالملاحظة ، أن مشروعات النهضة الحديثة والمعاصرة ، كانت فى الأساس ، تدور حول كيفية تطويع التراث لمتطلبات العصر.

يعنى الإسلام النقدى تقييما فكريا من موقع مستقل ويصل إلى نتيجة مختلفة عما ينسبه النص (الموضوع) لنفسه ، أو مايبدو عليه فى ظاهر الأمر أو مايقوله صراحة أو ضمنا.

والظاهرة التى يشير إليها المصطلح هى تيار فكرى أخذ يتبلور فى الفكر العربى المعاصر ، ويشمل على سبيل المثال لا الحصر كتاب : أركون ، خليل عبد الكريم ، سعيد العشماوى ، محمود إسماعيل ، سيد القمنى .

وهو تيار فكرى رغم أنه أخذ فى النمو إلا أنه لايمتلك اسما متفقاً عليه ودالا عليه حتى الآن.

وسوف أقدم فيما يلى بعض النماذج من المواقف النقدية التى تميز رموز هذا التيار .

وسوف نجد لدى " أركون " أفكارا ومفاهيم نقدية مثل نقد تفسير المؤسسة الفقهيّة التى يشكل أفرادها فئات اجتماعية ذات مصلحة وذات أيديولوجية وتوجه معين فى التفسير وفى تقنية المعنى ، فنجد مثلا معالجته لمسألة الكلالة ومسألة الوصية فى كتابه من الاجتهاد إلى نقد العقل الدينى

ويفرق " أركون " بين القراءة من داخل السياق الشفاهى والقراءة من داخل السياق الكتابى ، والسياق الشفاهى هو الذى صاحب الفترة الأولى على الأقل حتى بعد بدايات التكوين.

كذلك يقوم بعض اجتهاد " أركون " على استعادة التجربة التأسيسية النبوية فى

المدينة من ثلاث زوايا الأولى هي فعالية النبي والثانية هي الحضور الإلهي والثالثة هي استجابة النص لمستجدات الواقع والإجابة على أسئلته.

ويقوم "أركون" بتحديد نمط المعقولة المعرفية المتاحة للمجتمع في فترة محددة من تاريخه (القضاء المعرفي)

ويطرح أربع مشكلات رئيسية في كتابه أين هو الفكر الإسلامي المعاصر على النحو التالي

(١) مشكلة " الاسلام " الصحيح المعبر عن الدين الحق ، هي ظاهرة تاريخية أيديولوجية :

ليس هناك سبيل للتعرف على مثل هذا الاسلام . وبالتالي علينا أن نقر بضرورة التعددية العقائدية لأن مصدر " الاسلام " هو التراث . والنصوص القرآنية ألهمت ولا تزال تلهم تأويلات متغيرة بتغير الزمان والمكان ، كما هو شأن كل نص غزير المعاني قصصى البنية رمزي القصد .

أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر في حاجة ماسة إلى أن يدرك معنى القطيعة المعرفية لينتقل من مرحلة الانتاج الميثولوجي (الأسطوري) والاستهلاك الخيالي للمعاني إلى مرحلة الربط بين المعاني والتاريخية في كل مايطرحه ويعالجه من مشاكل دينية أو لاهوتية أو فلسفية أو سياسية أو ثقافية.

(٣) الموقف من السنة : لايتعلق الكفر بتكذيب الرسول فهذا محال بل يتعلق أولا بصحة البحث التاريخي كما ورد عن الرسول في كتب ألفت بعده وخضع فيها المؤلفون لجميع العوامل والمؤثرات اللسانية والثقافية والسياسية والاجتماعية في كل نبئة من البيئات العديدة . وفي كل فترة من فترات الوحي التاريخي.

مفاهيم وأفكار نقدية

- نقد تفسير المؤسسة الفقهيّة التي يشكل أفرادها فئات اجتماعية ذات مصلحة وذات أيديولوجية وتوجه معين في التفسير وفي تقنين المعنى (مسألة الكلالة / مسألة الوصية)
- (راجع : من الاجتهاد إلى نقد العقل الديني)
- التفرقة بين القراءة داخل السياق الشفاهي الذي صاحب الفترة الأولى على الأقل حتى بعد بدايات التدوين (السياق الكتابي)
- استعادة التجربة التأسيسية في المدينة
- فعالية النبي
- الحضور الإلهي
- استجابة الوحي لمستجدات الواقع والاجابة على أسئلته
- تحديد نمط المعقولية المعرفية المتاحة للمجتمع في فترة محدودة من تاريخه (القضاء المعرفي)
- المصدر الأساسي للفقه ، وبالتالي القضاء - ليس هو القرآن بقدر ما هو التفسير . نقصد بذلك أن الفقهاء قد قرأوا القرآن وفسروه بطريقة معينة واتخذوا بعدئذ قراراتهم .
- وقد استخدموا في تفسيرهم المعارف اللغوية والاخبارية السائدة في عصرهم (نقصد الأخبار الواردة في أسباب النزول أو في السير أو المترجمين لها) . وكل هذه الأدبيات تتطلب اليوم مراجعة وإعادة قراءة على ضوء التاريخ النقدي الحديث .
- أما خليل عبد الكريم : فيبحث عن جنود التشريعات القرآنية في الواقع الثقافي / الاجتماعي للجزيرة العربية في القرن السابع .
- ويحاول تفسير نشوء الدولة الإسلامية (من القبيلة إلى الدولة) في ضوء

التطورات والأوضاع والشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التاريخية وليس في ضوء وجود قوى فوق بشرية.

ويصور الحياة الاجتماعية والسلوكية لأفراد مجتمع النبوة بمنطق واقعي بشري ، ينزع عنه صفة القداسة أو العصر الذهبي.

ويعيد ظاهرة النبوة إلى التاريخ : يعنى محاولة الكشف عن المصادر الثقافية الاجتماعية التي تم من خلالها إعداد الرسول للنبوة.

- إعادة قراءة النص الديني من خلال وروده منجما متقطعا استجابة لمتغيرات ومستجدات الواقع : سواء ذلك الخاص بالنبي ، أو جماعة المؤمنين أو أفراد منهم ، أو بأوضاع عامة ذات طابع اجتماعي أو سياسي أو عسكري أو اقتصادي...

ويتتبع محمود اسماعيل : " نور الطبقة الوسطى في التاريخ الاسلامي " تكشف هذه الدراسة عن محاولة لعلمنة التاريخ الاسلامي واخراجه من دائرة المقدسات الى موقع الفعل البشري التاريخي . على أساس أن التاريخ محض فعاليات بشرية نتيجة صراع قوى وطبقات ذات مصالح متضاربة . كما تقدم تأويلا علميا ومنطقيا لعملية انهيار وانحسار الحضارة العربية الاسلامية نتيجة قصور في طبيعة الطبقة الوسطى في العالم الاسلامي أو عجزها عن إنجاز ثورة رأسمالية على غرار ماحدث في أوروبا "

وذلك في كتابة دراسات في الفكر والتاريخ الاسلامي

أما سعيد العشماوي فيقدم نقد لمقولات الاسلام السياسي

أي لكل شعار يزعم أن نظام الحكم من صميم الاسلام انما هو شعار خاطئ . يخلط بين المعاني والمفاهيم . ويضطرب بين فكر السنة (وهو فكر الجمهور) وفكر الشيعة . ويعمل نون أن يدري على أن يجعل فساد الخلفاء واستبدادهم أمرا

مشروعاً وحقاً على الناس . ويريد أن يضيف على الحكام سلطة كهنوتية وعصمة عقوقه أراد الله سبحانه أن يظهر الإسلام منها . (الإسلام السياسي ١٦٠)
وفى نظره فإن الفهم الصحيح للإسلام يعنى أن أى تصرف بشرى حتى ولو استند إلى آية أو أكثر من القرآن هو عمل انسانى . فعقد الزواج وعقود البيع والاجارة وغيرها من عقود مدنية وتصرفات انسانية حتى لو بنيت على آية من القرآن أو حديث للنبي .

وسياسية أمور الناس . أو معارضة بعض الساسة ، أو مخالفة رأى لهم ، أو طلب تطبيق برنامج معين (أو صبح بصورة) كل ذلك من أعمال الناس وليس من صميم الدين ، حتى ولو استند إلى آية من القرآن أو حديث للنبي . (الإسلام السياسي ١٦٠)

وعلى عكس الاعتقاد الشائع خطأ . فإن المجتمع غير مطالب بالاصرار على تطبيق الحدود ، بل مأمور بالتقاضى فيها والتفاضى عنها . (الإسلام السياسي - ١٨٣)

وقد وضع الفقهاء للحدود شروطاً كثيرة ، تجعل تطبيقها أمراً عسيراً ، بل أن التطبيق الصحيح يكاد يكون مستحيلاً .

وليسست الخلافة : إلا نظاماً سياسياً وليس نظاماً دينياً ، تحتوى على كل الأعيب السياسية ، بكل دنايها وكل أخطائها وكل مساوئها ، ووصفها بأنها اسلامية لم يكن وصفاً حقيقياً يفيد أنها أثبتت على قيم الإسلام وأخلاقياته ، لكنه كان وصفاً واقعياً يزعم أنها صدرت عن الإسلام ، ويستخدم الدين لخدمة أهدافه لغير .
(الخلافة الاسلامية ٥٠)

أدب ونقد

حلقة نقاش

الحدائثة والديمقراطية

العفيف الأخضر
عاطف أحمد
فريدة النقاش
شوقي جلال
علي مبروك
أنور مغيث
مجدي عبد الحافظ
منى طلبية
طلعت الشايب
أشرف أبو اليزيد



كانت زيارة المفكر التونسي «العفيف
الأخضر» لصبر فرصة نادرة كي تعقد معه
«أدب ونقد» بمقرها حلقة نقاش شارك فيها
عدد من المفكرين والكتاب والباحثين هم د.
عاملف أحمد د. على مبروك ، أستاذ شوقي
جلال ، د.عنى طلبة ، د. أنور مغيث ، د.
مجدى عبد الحافظ ومن مجلس تحرير
«أدب ونقد» كل من طلعت الشايب وأشرف
أبو اليزيد وفريدة النقاش كما كتب لنا
الدكتور «مجدى عبد الحافظ» الصديق
المقرب للعفيف هذه النبذة عن حياته
ولإنتاجه الفكرى.

العفيف الأخضر : الكاتب المثير للجدل

د. مجدى عبد الحافظ

العفيف الأخضر كاتب مثير للجدل ، يكفى أن يكتب أو يتحدث حتى يثير حوله
عواصف المؤيدين ، وزوابع الرافضين ، فهو لا يعرف المجاملة حين يفكر ، ويكره التجميل
حين يعبر ولا يقول إلا بما يعتبره الحقيقى والواقعى ، مهما كان مريرا أو صعبا أو عصيا
على التمثيل والتصديق . الكتابة والتفكير بالنسبة له عبادة تصل لحد التقديس ، ومن هنا
يأتى تشدده فيما يتصل بالمنهجية ، واحترام المنطق والشروط العلمية فى كل ممارسة
فكرية.

ولعل تلك النقطة هى مصدر الخلاف الدائم بين جزء كبير من قرائه الذين أحبوه من
خلال مؤلفاته الأولى ، ويكرهونه الآن ، لأن ما يكتبه لم يعد يعبر عن ما يطمحون إليه
ويتمنونه فى أنفسهم ، وهو بعيد عن اهتمامات العفيف اليوم - عضو اتحاد العقلانيين
- الذى أصبح يفكر ويفهم من خلال ممارسة التحليل الموضوعى للظواهر السياسية تبعا
لعلم السياسة والسوسيولوجيا السياسية ، وعلم النفس السياسى ، ويفهم الظواهر

الاجتماعية من خلال سوسيولوجيا الثقافة والأنثروبولوجيا والفلسفة والتاريخ.. إلخ. كانت النقلة للفتى عفيف غير متوقعة بحساب الاحتمالات بحيث عاش مثل كل أبناء قريته في الريف التونسي، يتغذى على حكايات الكبار والأساطير التي يتناقلونها عبر الأجيال، ويمارس ألعاب الصغار في جو من الجهل والإهمال والتراجع. يتعلم التعليم الديني المعهود في كتاب القرية، يحفظ عن ظهر قلب كل ما يلقي إليه من سيدنا معلم الكتاب إلا أن بذرة النقد كانت قد ظهرت في هذا الوقت المبكر، وأخذ يتعدها بالعناية والرعاية غير المقصودة أو المفكر فيها عن طريق ما قرأه من التراث العربي النقدي ووصل إلى متناوله قديمة وحديثة. أخذ يلتهم هذا التراث بشراهة جعلت أفاقا جديدة لم يكن يتوقعها تتفتح أمام عينيه على عالم آخر أوسع وأرحب من محيط القرية الذي حسبه آخر حدود العالم.

وينتقل إلى جامعة الزيتونة ليدرس العلوم الدينية والفقه والتشريع.. إلخ ويتخرج فيها مؤهلا لممارسة مهنة المحاماة. وبالفعل عمل بالمحاماة في العاصمة التونسية لمدة ثلاثة أعوام راوده فيها هذا الحنين القديم إلى ما هو خارج الحدود لأنه عشق حب الأفاق الجديدة الذي تعلمه دفعه دائما نحو المجهول وهنا قرر أن ينتقل من الدفاع عن الأفراد أمام القضاء المحلي إلى الدفاع عن الشعوب المستعمرة أمام العالم.

فقرر في سنة ١٩٦٠ الالتحاق بالثورة الجزائرية التي أعارها قلمه وفكره، واعترافا بدوره أصبح مستشاراً للرئيس الجزائري أحمد بن بيللا. وفي سنة ١٩٦٥ عقب الانقلاب العسكري الذي قام به هواري بومدين فر العفيف الأخضر من الجزائر إلى ألمانيا ومنها إلى لبنان حيث نشر بدار الآداب البيروتية كتابه «العسف أو التعذيب الجديد في الجزائر». ولعل هذا الكتاب يعد من أوائل الكتب العربية التي حاولت لأول مرة الدفاع ضد إنتهاكات حقوق الإنسان في إحدى دول العالم العربي (الجزائر) وفي لبنان عمل العفيف الأخضر مع فصائل الثورة الفلسطينية وأشرف على مدرسة الكوادر مزاجا بين الفكر والعمل، كما أنه هو الذي قدم أبو جهاد المناضل الفلسطيني الراحل إلى تشي جيفارا.

وفي هذه الأثناء بدأ العفيف الأخضر في بلورة مشروعه الفكري الذي أثار وما زال يثير خلافا شديدا في أوساط المثقفين في عالمنا العربي.

وهو يقدم مشروعا فكريا نقديا يتأسس على ضرورتين متكاملتين، الأولى يطلق عليها تحديث الحداثة باعتبارها مشروعا مفتوحا غير مكتمل في العالم الحديث، وتحديث الحداثة يعني لديه مراعاة الشروط التي تجعل الإنسان حقا إنسانا، أي لا يستغل الإنسان ولا يقسو على الإنسان. بينما تتمثل الضرورة الثانية في ضرورة أن تدخل العوالم التي لم تدخل إلى الحداثة بعد وفي طليعتها العالم العربي الحديث، ويعني دخول سكان العالم العربي إلى الحداثة- في رأيهم- معاصرتهم لعصرهم، أي كما يقول- المساواة بين الجنسين في الحقوق والميراث والكرامة والمساواة في حقوق المواطنين مهما

كانت انتماءاتهم الدينية والطائفية والاثنية واللغوية فى حقوق المواطنة وواجباتها كافة. وهو يرى أنه ما دامت المرأة المسلمة تعتبر قانوناً قاصرة أبدياً والرجل قواماً أبدياً عليها فإن المجتمعات العربية والإسلامية ستبقى مغلوقة ومشلولة . ويضيف إلى هذا أنه ما دام المواطن غير المسلم أو غير العربى مستبعداً من حقوق المواطنة ستظل دولنا ما قبل حديثة ، وستبقى الفجوة التاريخية بين العالم العربى والإسلامى والعالم الحديث هائلة تقاس بالمسافات الضوئية.

ويفهم العفيف الأخضر الحداثة بشكل كلى غير متجزئ ، فالحداثة السياسية، والديمقراطية وحقوق الإنسان ، مرتبطة بحداثة التعليم- وهى لديه رهان جوهري -حداثة شرط المرأة وحداثة القوانين ، وخاصة قوانين الأحوال الشخصية. وحداثة الاقتصاد وحداثة الفكر كما يعتبر أن الفكر الحديث على وجه الحق هو الفكر النقدي كما يعتبر العفيف الأخضر أن المثقف النقدي هو حامل الحداثة فهو الذى يسائل الأفكار والاطروحات والأنساق الفكرية عن شرعيتها العقلانية التى تفقد ببنائها منزلتها فى عالم الفكر . والمثقف النقدي-لديه- هو الذى لا يحكم عبده الأموات من وراء قبورهم حياة الأحياء ، ولا يقدم من خلاله الماضى أجوبته على أسئلة الحاضر. ويخلص العفيف إلى أن عوائق انتقال الفضاء العربى الإسلامى إلى الحداثة لا يمكن حصرها ، إلا أن العائق الأكبر لديه هو حركات الإسلام السياسى المنادية- كما يقول- باسترقاق المرأة واستبعاد غير المسلم من حقوق المواطنة ومعاداة الحداثة بما هى: ديمقراطية وحقوق إنسان وفصل الدين عن السياسى.

ولعل أهم إصدارات العفيف الأخضر تظل:

- العسف أو التعذيب الجديد فى الجزائر/ مذكرات أحمد بن بيللا -الثورة الألمانية.
- التنظيم الثورى الحديث/ التنظيم الشيوعى (نصوص ماركس-انجلز) / الموقف من الدين/ القاموس النظرى للبيان الشيوعى/ إنهاء رأسمالية الدولة الستالينية.
- عصر الأزمة الدائمة.

عدا المقالات والأبحاث والدراسات ، إضافة إلى الكتب التى قام بترجمتها إلى اللغة العربية.

ويكتب العفيف منذ سنتين كل يوم أحد مقالا فى جريدة «الحياة» اللندنية يحرص المثقفون على متابعته ويثير نقاشاً فكرياً سياسياً غنياً على امتداد العالم العربى سواء اتفقت أو اختلفت معه ، وعادة ما يترجم هذا المقال إلى عدة لغات أجنبية.

العقيد الأخصر:

أنا سأبدأ على طريقتي، سنناقش تاريخيا مسألة الحداثة ، لأنه من خلال مناقشتي لتكون الحداثة في الغرب في أوروبا تحديداً تطرح الاشكاليات ، إشكاليات الحداثة في بلدان أخرى .

الحداثة في أوروبا قادتها طبقتان -قبل القرنين السابع عشر والثامن عشر بقادتها الطبقة البرجوازية في باريس ، والطبقة الصناعية الوليدة وهي التي ألهمت ديكرات العقلانية وأعطت فلسفة الأنوار الروح النقدية إزاء ظاهرة الدين ،

الجنرال دييجول قال له أحد السفراء العرب للجنرال دييجول ذات مرة : فرنسا عظيمة لأن الثورة الفرنسية صنعتها فاجابه ، لا لم تصنعها الثورة الفرنسية بل صنعها ديكرات . ولكن الحداثة الحقيقية في أوروبا جاءت بعد الثورة الصناعية. لأن الثورة الصناعية همشت جميع الطبقات القديمة ، طبقات القرون الوسطى وأنشأت طبقتين جديدتين في تاريخ البشرية : هما طبقة البرجوازية الصناعية وعمال الصناعة ، وعلى أكتاف هاتين الطبقتين كانت الحداثة الخاصة بفرنسا ، كل الحداثة التي نعيشها الآن : الديمقراطية والعلمية ، مثلاً الديمقراطية : فرنسا كانت أول دولة سخلت الديمقراطية وتقدمت شوطاً بعيداً فيها .. ففي فبراير من عام ١٨٤٢ قامت الثورة العمالية في فرنسا ، وأدخلت الاقتراع العام، الاقتراع قبل ١٨٤٢ كان للأغنياء ، في بريطانيا سنة ١٩١٨ كان اقتراع لدافعي الضرائب وكان له ٢٠٪ من السكان حتى انه من الصعب أن يقال ديمقراطية ولكنها كانت البداية على طريق الديمقراطية. كانت مساراً وليس معطى ولأن ما زالت مساراً ، العلمانية ، أول دولة تقول بالعلمانية هي فرنسا ، العلمانية الراديكالية ، الفصل الحاسم بين الدين والدولة ، وهذا الفصل قامت به شريحة صناعية من البرجوازية متحالفة مع الطبقة العاملة أيضاً ، لم ينفذ التحالف بين البرجوازية والطبقة العاملة إلا في القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين عندما استنفدت جميع المهام البرجوازية الأساسية ، من الديمقراطية والعلمانية ، التصنيع طبعا كان سابقا عليهما ،

لذا لا يمكن أن نحلل تحليلًا موضوعيًا الحادثة في البداية دون أن نلتقط الحلقة المركزية فيها وهي الثورة الصناعية ، لم تولد البرجوازية الصناعية ولم تولد البروليتاريا الصناعية في بلداننا الرق في السعودية ، رسميا عام ١٩٦٤ ، وما زال قائما في موريتانيا حتى الآن ، وفي السودان أعيد ، إذا انتقلنا من أوروبا إلى العالم العربي سوف نجد إشكالية لماذا لم تكن هناك حادثة في العالم العربي؟ لم تكن هناك حادثة في العالم العربي ، أو على الأقل حادثة على غرار الحادثة الأوربية لغياب هاتين الطبقتين ، البرجوازية الصناعية والبروليتاريا الصناعية ولذلك كان بقاء جميع الطبقات القديمة عائقا للحادثة.

فماذا كان التصور الدائم للطبقتين البرجوازية الصناعية والبروليتاريا الصناعية هو تصور عقلاني والعقلانية العملياتية هي العقلانية الفسيولوجية ، هي الرأسمالية: كيف نخطط لمشروع اقتصادي لنصل إلى السوق ، فالسوق ، لابد له من عمال أولا ، وكيف أنه إذا تخلف عامل ربيع ساعة يتوقف المصنع كله، انن العقلانية ولدت وترسخت مع الثورة الصناعية بدون عقلانية لا يمكن للآلة الاقتصادية أن تعمل .

ثم نأتي العلمانية، البرجوازية الصناعية تريد دولة خاصة ولتأخذ النموذج الفرنسي ، هناك تغييرات طفيفة عنه في البلدان الأوربية الأخرى ، لا تستطيع الدولة أن تدير شؤون البرجوازية إلا ، إذا كان هناك الفصل الضروري بين الدين والدولة لكيلا يبقى للكنيسة سلطة على الشأن الاقتصادي ويصبح صنع واتخاذ القرار خاضعا كلية للطبقة البرجوازية، من أين أتت البروليتاريا الصناعية في الغرب ، جاءت من الريف ، لكي نحدد علاقة الريف بالمدينة في الحادثة الغربية وعلاقة الريف بالمدينة في الوضع العربي . نقول حادثة البرجوازية الصناعية كانت في حاجة إلى العمال فلجأت إلى مصادرة أملاك الفلاحين لدفعهم دفعا إلى المدينة.

عاطف أحمد : كانت هناك عملية انهيار النظام الاقطاعي.

العفيف الأخضر: لا .. لا الفرق بين الحادثة في أوروبا الغربية والحادثة عندنا هو أن، البرجوازية هناك دفعت دفعا الفلاحين، وافقرتهم ليذهبوا إلى المدينة ، ماذا حدث؟ حدث

ان الفلاحين الذين أتوا إلى المدينة أصبحوا عمالة صناعية فتغيرت ذهنيتهم وافكارهم وتصوراتهم للعالم ، الذى حدث عندنا ، إن البرجوازية عجزت عن التصنيع عجزت عن التحديث ، افتقر الريف وتدفق الريف على المدن ، نزح الريف ، الذى حدث فى الغرب هو تحديث المدينة بالريف والذى حدث عندنا ، هو تريف المدن.

الفلاحون أتوا فى بلادنا ليسكنوا فى مدن الصفيح ، بالذهنية الفلاحية والقبلية والتفكير السحرى ما قبل الدين ، الإيديولوجيا السائدة لدى الجمهور العربى ليست الايديولوجيا الدينية بل التفكير السحرى يعنى مرحلة أقل تطوراً من التفكير الدينى.

(ماذا حدث ؟ أوروبا الصناعية ، كان عليها أن تتوسع بحثاً عن الأسواق ونشأت، الظاهرة الاستعمارية ، التى هى ظاهرة البحث عن الأسواق ، ولو درسنا تاريخ الفتوحات الاستعمارية لوجدنا فى تسعة على عشرة من الحالات ، إنه كلما جدت أزمة اقتصادية تم فتح بلد من البلدان ، للحصول على المواد الأولية بسعر التراب ، ولتصريف البضائع داخل هذا البلد المفتوح .،

كان لقائنا ، لقاء المجتمعات العربية جميعاً مع الحداثة لقاء صدامياً والصدمة الأولى بين الشرق والغرب وقعت هنا على هذه الأرض بين نابليون والمماليك ، وإن كنت لا أريد أن أركز كثيراً على هذه النقطة رغم أهميتها ، لأول مرة شعر المسلمون بنويتهم ، يعنى (خير أمة أخرجت للناس) تنهزم أمام الأمة القاهرة ، عكساً لذات القرآن، لأول مرة يجد المسلم نفسه فى وضع دقيق نفسياً دقيق ، هو من خير أمة أخرجت للناس ، لكن وضعه الآن أسوأ من أسوأ أمة أخرجت للناس! وهذا ما تسبب عنه ، كما فى استنتاجات الدارسين الغربيين ، الجرح النرجسى وانهايار الثقة بالنفس ، إذن ، عندما انهارت ثقبتهم بأنفسهم فقد رفضوا الحداثة الغربية رفضهم لجيوش الاحتلال ، الحداثة الغربية كانت قد جاءت فى سنابك خيل الفاتحين وفى أفواه مدافعهم شريحة صغيرة خاصة من الأقليات الدينية والقومية هى التى، تقبلت هذه الحداثة ، بينما رفضها الجزء الكبير من الجماهير المسلمة ، إذن الحداثة دخلت عندنا لا كطلب داخلى بل كعرض مرفوض إذ الشعوب لم

تطلب هذا العرض والدولة ترفضه بل تعتبره تهديداً جدياً لكيانها والجماهير المسلمة تنتظر للاستعمار على أنه تنصير جاءوا ليخرجونا من بيتنا). (كانت الحادثة كانت عرضاً مرفوضاً في ذلك الحين لكن إذن الحادثة الآن تحولت إلى طلب داخلي ، الشباب والكهول يحركون ذلك (الزر) ، التلفزة والانترنت والفاكس والهاتف ، الحادثة الآن انتقلت من عرض مرفوض إلى طلب داخلي وإذا عندما يقال مثلاً ان الغرب يريد أن يفرض حداثته وايدولوجيته علينا فليس هذا إلا كلام إنشائي في الواقع ، هناك أساليب المنافسة ، فما يعرضه الغرب في أنواته الغربية ليس لديه ما يناقسه في المجتمعات الإسلامية ونجد مثلاً في إيران ، حرباً يومية تنور بين الشيوخ والشباب ، الشباب الذي تخرج في مدارس الثورة الإسلامية ، لم يدرسوا في مدارس غربية ولم يدرسوا الأفكار الغربية ، هذا الشباب نفسه الذي درس في مدارس إسلامية وتلقى أفكاراً خمينية ، أصبح يقدس أسلوب الحياة الأمريكية ولهذا قال «انتوني ليك» رئيس المجلس القومي لإدارة كلينتون الأولى ، قال إن الثورة الإسلامية الإيرانية حببت الشباب الإيراني في نمط الحياة الأمريكية ، وإذا استطاعت الجبهة الإسلامية للانقاذ عام ١٩٩٦ أن تستولى على الحكم في الجزائر فإن الظاهرة ستكرر نفسها ، سيصبح الشباب الجزائري الكافر بالغرب الآن ، موالياً ومحباً وباحثاً وساعياً لتقليده في أسلوب حياته .

السؤال المطروح علينا ، كيف نصبح حداثيين؟ من وجهة نظري -لا حداث إلا الحادثة الغربية، فلا توجد هناك حادثة أخرى ، الحادثة الغربية طبعاً ليست كتلة موحدة ، حادثة يمينية وحداث يسارية وحداث بين بين . حداث تعددية وتطورية وتتجاوز نفسها ، يعني الاقتصادي المصري الحديث «فؤاد مرسى» كتب كتاباً بعنوان «الرأسمالية تجدد نفسها» و لو قال الحادثة تحدثت نفسها باستمرار لكان أكثر دقة وهم الآن في الغرب مشغولون تحديث الحداة .

ما هو طريقنا إلى الحداة ؟ . يكتب مثقفونا الحداثيون الحداة وفي أمتنا ٤٥٪ من الاميين وخريجوها أنصاف أميين انن الطريق إلى الحداة هو المدرسة ، فكيف يجرى

تحوّلت الحداثة من عرض

مرفوض لدينا إلى طلب داخلي

تحديث المدرسة وهناك ، المدرسة ، التعليم العام والتعليم الدينى ، نحن نتصارع الآن فيما بيننا حيث يوجد اتجاه تقليدى يواجه الحداثة ولكنه جماهيرى ساحق ، والآن أعتقد أنه لوتتمت انتخابات ديمقراطية فى معظم البلاد العربية فإن من سينجح هم الاخوان المسلمون هذا واضح وديقيق ، نحن فصاميون نطالب بديمقراطية ولكن نرفض أن ينجح الاخوان المسلمون والتيارات الاسلامية ليصلوا إلى الحكم ، فلا بد أن نجد حلاً لهذا التناقض، تحديث المدرسة ، يعنى تحديث التعليم العام، وتحديث التعليم الدينى وتحديث التعليم العام ليس لغاية ايديولوجية ، لأن ليست الايديولوجيات هى التى تسيّر التاريخ ، إنها المصلحة المادية ، المتفق عليه الآن أن أى دولة ، أى أمة ، وشعب لا يمتلك عمال الغد لا أمل له بالخروج من دائرة التخلف ، فمن هم عمال الغد ، هم : التقنيون ، المهندسون ، الباحثون ، العلماء والأطباء وليسوا عمال الزراعة ، عمال الغد هم من يستطيعون أن يشتغلوا على روافع الثورة الصناعية الثالثة خاصة ، الكمبيوتر ، الأمى فى المستقبل هو من لا يحسن العمل على الكمبيوتر ، هذا تعريف الأمى والعنصر هو ، الثانى ، التحديث الايديولوجى ، أى تحديث التعليم الدينى ، جامعاتنا ، مدارسنا ، ومعاهدنا الدينية تخرج الارهابيين بالفعل أو بالقوة ، وتخرج العاطلين والمهمشين المزودين بالايديولوجيا التكفيرية ، مثلاً سوف نجد فى برامج التعليم ، فى برامج كل المدارس والجامعات والمدارس الدينية ، فهما يقول يعزل الحاكم إذا حاد قيد أنمله عن تطبيق الشريعة الإسلامية ، الشريعة هى الحدود البدنية ، الحاكم الذى لا يقطع اليد ولا يرجم ولا يجلد ولا يقطع عنق المرتد، فى

هذه الحالة يكون قد حاد قيد أميال ، فلابد إذن من تحديث التعليم الدينى ، كيف نحدث التعليم الدينى ؟ (وإن أتكلّم عن عن فرضية نظرية لكن سأعطى مثلاً حياً من: تحديث التعليم الدينى فى تونس ، أولا التربية الدينية داخل المدرسة فى سنة ١٩٨٨ كان برنامج الطلبة الذين تمت صياغته سنة ١٩٧٢ والذي صاغته هو الحركة الاسلامية وراشد الغنوش تحديدا هو أحد الذين صاغوا البرنامج الدينى للحزب الحاكم .. فى سنة ٨٨ اطلعت بالمصادفة على مناهج التعليم الدينى وجدت فى الفصل الأول نصا يقول «تزوجوا ما طاب لكم من نساء مثنى وثلاث ورباع، ثم تفسير لآية فى الفصل الثالث يقول من مات ولم يبايع خليفته مات ميتة الجاهلية وكتبت رسالة لوزير التعليم انذاك «محمد الشارقي» وقلت له أمامك أمران إما أن تغيروا التربية الدينية مثنى وثلاث ورباع وأما أن تغيروا قانون الأحوال الشخصية الذى يعاقب بعام سجن على من تزوج ثانية وبعامين . و١٠ آلاف دينار فى ذلك والحين ٩ آلاف دولار غرامة) وأما أن تغيروا قانون الأحوال الشخصية أو التربية الدينية ، وأما أن تغيروا الدستور التونسي أو تغيروا النص الذى يقول من مات ولم يبايع خليفته ، مات ميتة الجاهلية، بعد ٦ أشهر تم تغيير برنامج التعليم بشكل راديكالى وأعلنت الحركة الإسلامية : هذا تجفيف لمنابعنا يومئذ ذلك الحين عرفت كلمة تجفيف المنابع طالبت الجماعات الدينية بعزل الوزير وتقديمه للمحاكمة ، تم التحديث بوضع كتب جديدة لجميع المراحل التى يدرسون فيها التربية الدينية ، كيف يتم تحديث المناهج الدينية ، فى المدارس الابتدائية والاعدادية ، كتب لكل مرحلة كتاب ، حسب امكانات التلاميذ فى الاستيعاب واقتصر على نصوص من جيلى الإصلاح الأول والثانى ، الطهطاوى ، عبده

فريدة النقاش: الطاهر الحداد

العفيف الأخضر: طبعا الطاهر الحداد، الحداد أصبح التلاميذ يحفظون نصوصه ، ونصوص للفلاسفة المسلمين: ابن رشد ، الفارابى ونصوص من المفكرين المعاصرين من مصر من المغرب ، محمد عابد الجابرى وعبد الله العروى ، ونصوص مختارة بعناية ،

مثلاً فى كتاب التربية الدينية ، المخصص للثانوية العامة قدموا نصاً لمؤرخ تونسى: محمد الطالبى حول تفسيره لضرب الزوجة ويقول فى النص (إن ضرب الزوجة فى القرآن كان خلافاً حاداً بين أم سلمة والرسول من جهة وعمر بن الخطاب من جهة أخرى ، عمر كان من أنصار الضرب ، أم سلمة والرسول كانا ضد الضرب واستمر الصراع طويلاً ، خلال تغير موازين القوى، مثلاً فنزلت الآية لصالح عمر ضد الرسول وأم سلمة). تصوراً تلميذاً فى الثانوية العامة وعمره ١٧ عاماً يقرأ هذا الكلام! ، ولكن الثورة الحقيقية وضعت فى التعليم الدينى ،فى الجامعة الزيتونة النظير لجامعة الأزهر هنا، الجامعة الزيتونية أدخلت التاريخ للدين، مثلاً يدرسون فى الجامعة الزيتونية فى السنوات الأربع كتاب فراس السواح (مغامرة العقل الأولى) فى هذا الكتاب يقول مثلاً: آدم أسطورة سومرية ثم انتقلت إلى أسطورة بابلية ، ترجمها اليهود الاسرى، فى القرن السادس قبل الميلاد فى التوراة ثم انتقلت للقرآن ، يعنى الطالب يدرس كيف تكون آدم تاريخياً ، عبر هذه المراحل (نوح هو جزء من قصيدة جلجامش واسمه فى البابلية اتوبيشتين ، يأتى بالنصر يا اتوبيشتين انى سأشيد سفينة وسأحمل فيها من كل زوجين اثنين، وكيف انتقلت من التوراة إلى القرآن؟ ، هذا ما يدرسه الطلاب الآن فى الجامعة، لأنه لا يمكن أن يتكون لنا عقلية نقدية و عقلية تاريخية دون أن ندرس وكيفية تشكل لا يمكن أن نعالج النص الدينى من وجهة النظر التاريخية كميثافزيقيا بحتة دون أن ندرسه النص الدينى فى تشكيلاته التاريخية ، المادة الثانية التى أدخلوها فى التعليم فى السنوات الأربع هى علم اجتماع الاديان ، سوسيولوجيا الاديان ، كيف نستخدم الدين، يعنى ما وظيفة الدين الاجتماعية كيف تستخدم الفئات الاجتماعية على اختلافها الدينى مرة يساراً ومرة يميناً ، مرة ثورية ومرة رجعية ، هذا دور السوسيولوجيا الدينية، المادة الثالثة هى مادة الانثروبولوجيا أو علم الإنسانيات ، الهدف من دراستها هو يمكن هو كيف يمكن القضاء على العائق الأساسى أمام تحديث الاسلام وهو المركزية الدينية ، الانثروبولوجيا فى جميع الثقافات وجميع الاديان متساوية وليس هناك الدين الحق والدين الباطل وليس هناك الثقافة العليا

والثقافة الدنيا ، فى دراسة الانثروبولوجيا مثلا يدرس الطلاب ،أحد النصوص عن أساطير وعقائد قنبيلة أرانتا فى استراليا ، قنبيلة أرانتا تقول نحن على دين أبائنا ، نحن على طريقة ابائنا ، نجلس كما جلسوا ،ونأكل كما أكلوا ونذبح كما ذبحوا ولا نخرج عما فعلوا ، يعنى لانريد التطور ، الطالب عندما يدرس هنا سوف يقول: السلفيون يقولون نفس الكلام وهم تماما بعقليتهم مازالوا عايشين فى القنبيلة الاسترالية ،ما معنى هذا كله عندما يدرس الطالب تاريخ الأديان المقارن ، سوسيولوجيا الأديان وعلم التأويل والانثروبولوجى لا يبقى فيه من التدخل الميتافيزيقي شئ تقريبا يصبح كله مثل التاريخ. وقائع وأحداث وأفكار وعلاقات قابلة للمقارنة والدحض والنقد وموضوعا للأسئلة ، ونأتى لعلم النفس لنجد أن القضية المركزية فى التحليل النفسى إن الله هو رمز الأب ، الطفل وهو صغير يحتاج إلى حام يحميه ، وهذا الحامى هو الأب، ولما يكبر ويشب عن الطوق ويرى أن أباه يموت فيسقط الأب الأرضى الزائل على أب سماوى ، ويرجو أيضا الحماية يعنى دور الله هو الحماية ، لما يدرس الطالب كل هذا يفهم ماذا يفهم من تدخل السماء غير الماورائيات والميتافيزيقا المرتبطة بالمظاهر الدينية .

الطريق إلى الحداثة يبدأ إذن بتحديث التعليم وتحديث التعليم الدينى ،والحداثة السياسية ، الحداثة السياسية أساسية ولكن يجب أن نطرحها مرحلة مرحلة ، لأن الديمقراطية وحقوق الإنسان وجدت فى الغرب على مراحل أول تحديث لحقوق الإنسان حدث فى ظل الثورة الفرنسية التى كانت تمنع العمال من التنظيم ، إذا نظموا انفسهم وضعوهم فى السجن وفى آخر تحديث لحقوق الإنسان أضيف حق العمل والسكن والضمان الاجتماعى باعتبارها جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان ، هذا هو التطور الذى حصل ، الحداثة الفكرية يقوم بها التعليم ، الحداثة السياسية يقوم بها الاعلام، أعلامنا الآن هو إعلام سلطوى ومتأسلم كما يقول رفعت السعيد ، نحتاج قطاعات اعلامية جديدة ،فقناة الجزيرة لها ٩٠ مليون مشاهد المساهم الثالث فيها هو القرضاوى ، القرضاوى عنده برنامج (الشريعة والحياة) يصدر منه فتاوى بالردة والقتل مثلا أصدر القرضاوى

السنة الماضية فتوى بقتل شاعر تونسي أسمه أولاد أحمد ، وأولاد أحمد أقام عليه دعوى في تونس ومحاميه سأل القرضاوى بالتليفون في (الشريعة والحياة) عن الفتوى وقال له نعم لما أصدرت عليه الحكم بالموت ، بالقتل لكن لأنه لا يوجد دولة إسلامية في تونس اننا نطالب بسجنه مدى الحياة إلى أن تقوم الدولة ثم يقتل ، ويسمع هذا ٩٠ مليون وسيصدقه ٩ من كل ١٠ مشاهدين .

في طريقنا للحدثة السياسية نحن نمشي للوراء لأن وسائل الاعلام الجماهيرية في يد الدولة المتسلطة والاسلامية ، وفي الحدثة السياسية نقطة ينبغي أن نركز عليها ، لأن حقوق الإنسان هي الآن الحل ، ان حقوق الإنسان هي المساواة كذلك فإن الجرح الأساسي للعالم الإسلامي الآن هو إقصاء المرأة من الحياة الاجتماعية ، تهيمش دور المرأة في الحياة الاجتماعية خاصة المرأة التي لا تعمل ، أجريت دراسات حول المرأة التي لا تعمل وبقيت رهينة البيت منغمسة في نورها وهو دور الأم مبين ان البنت نفسها تتماهى مع دور أمها والابن يتماهى مع دور أبيه ، ابوها يضربها ، يزعم فيها ، يخرج خارج البيت ، وتبقى الأم داخل البيت ، يعنى المرأة تنتشر بنيتها عبر نموذج أمها .

موضوعنا هو تبني حكومتنا المساواة بين الرجل والمرأة والمساواة بين المواطنين المختلفين ، وهذا الجرح الثاني العالم العربى والعالم الاسلامى استبعاد غير المسلمين من المواقع القيادية ، ولا يحق له تغير المسلم أن يكون قائد جيش .

فريدة النقاش : ولا النساء

العفيف الأخضر: النساء مهمشات ، الفئات المهمشة هي النساء وغير المسلمين ، الآن مثلاً يدرسون في تونس :هل يمكن للمرأة وغير المسلم أن يكون أحدهما رئيس للدولة أو قائدا للجيش لماذا .

حرمان غير المسلم من رئاسة الدولة جاءت تاريخيا لأن رئيس الدولة كان إمام المسلمين وكان يصلى بالمسلمين ولا يمكن طبعاً لغير المسلم أن يصلى بالمسلمين فكان الحرمان منطقياً ، أما الآن حيث لا يوجد رئيس دولة يصلى بالمسلمين فلا بد أن يتغير

الحدثة ... ديمقراطية .. وتحديث التعليم

الدينى .. حقوق الإنسان وتحرير المرأة

الوضع ! وقائد الجيش كان يجب أن يكون مسلماً فى الماضى لأن الجيش كان يقوم بالفتوح والجهاد ولا يمكن لغير المسلم أن يقود جيشاً للجهاد ، ولكن فى جيوش المسلمين ابتداء من أيام الرسول كان غير المسلمين يجهلون داخل الجيش ، المشركون قاتلوا مع الرسول فى آخر غزواته ، وتحالفوا مع القبائل غير المسلمة ، قاتلوا معهم ، ثم استنتج الفقهاء من ذلك انه إذا قاتل غير المسلمين داخل جيش المسلمين يعفون من الجزية ، أى يصبحون مساوين للمسلمين وبما أن الحروب الآن لم تعد حروب فتح ، بل حروب دفاعية يمكن أن يكون قائد الجيش غير مسلم .

أما الفرد فهو الغائب الأكبر للحدثة عندنا الفرد هو الذى يختار .. باستقلال نسبى عن المجتمع ، معنى ذلك ، الفرد هو الشخص الذى يمتلك رأسه ، يعنى رأسه يفكر به كيفما شاء ، ولا يمكن أن يحاكم على ذلك ، الاسلام الذى رزى القرآن أعطى المسلم حق الردة أن يخرج من الإسلام أو من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وعندما فسرها الإمام محمد عبده هذه الآية ، قال من شاء أن يدخل فيه فله أن يدخل ومن شاء أن يخرج منه فليخرج ، الآن ، إذن ، لماذا رفض فقهاء المسلمون تطبيق نص القرآن واختاروا حديث الأحاد ، إختاروا حديث ليؤسسوها لحكم بنسخ القرآن ويعترف الامام الشافعى الذى يقول بأنه لا يجوز نسخ القرآن بحديث الاحاد بهذا النسخ إذ قبل فى هذه المسألة نسخ القرآن بحديث الاحاد ، لماذا لأن المجتمع تقليدى وأما القرآنية كانت متقدمة عن المجتمع التقليدى وفى جميع المجتمعات التقليدية لا وجود للفرد ، يعنى هو يفكر بروح القبيلة ،

فإذا فكر برأسه الخاص، فإن القبيلة تفصل رأسه عن جسده ، جسده رمز القبيلة رمز الأمة والرأس هو ذلك الرأس الذى شذ عن القبيلة فإنفصل عن جسده يذق عنقه بالسيف حتى فى قتله رمز ، انه يعاقب بنفس الطريقة التى ارتكب بها جنايته ، المرأة مترجم ، لا وجود للرجم فى القرآن إنما هناك وجود الجلد للرجل مائة جلدة لغير المتزوج كما فى الديانة المصرية القديمة ولا وجود لهذا العقاب فى العهد القديم ، إذن لم يأت القرآن بمسألة الجلد من العهد القديم إنما جاء بها من الديانة المصرية مباشرة، ولأن المرأة جسد ، المرأة مملوك ، ملك لأبنها وأخيها وزوجها وليست ملكاً لنفسها وفى اللحظة التى تتصرف بجسدها كيفما تشاء ترجم .

حقوق الإنسان ترفض بالعقوبات البدنية المنصوص عليها فى الشريعة ، هى لذلك شريعة مذلة ، يعنى لا تساعدنا على التحديث وإذا طالبنا بإلغاء الشريعة سنجد ٩٩٪ من الجماهير ضدنا نحن نتبنى حقوق الإنسان، حقوق الإنسان تلغى العقوبات البدنية، الردة يقول راشد الغنوشي زعيم الإسلاميين التونسيين يقبل فى حقوق الإنسان ما لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية يرفض ما يتنافى الشريعة وما يتنافى مع الشريعة هو أن حقوق الإنسان تؤكد حرية الاعتقاد وهذا يعنى الردة أى أن يتخلى المسلم عن عقيدته فهذا مرفوض ، فالفكرة الأساسية والجوهرية للتحديث السياسى هى تبنى حقوق الإنسان والدفاع عنها وإدخالها فى التعليم فى تونس.

ادخلت مواثيق حقوق الإنسان فى التعليم منذ أربع سنوات ، كما صادقت عليها الأمم المتحدة، يدرس الطالب فى الثانوى كل حقوق الإنسان، فى المغرب ستدخل هذه السنة ، فى مصر قرأت فى مجلة (المصور) أن هناك كلاماً يدور حول ادخالها فى التعليم ، ادخالها فى التعليم ماذا يعنى ، يعنى أننا نطور أجيالا جديدة محصنة ضد انتهاك حقوق الإنسان ولن نسكت على انتهاكها فالاسلام الذى ندرسه الآن هو إسلام تكون بفكرة الحروب الصليبية وبفكرة الحروب ضد المقول ، وإذا كان لى أن أفصل بعض النشئ أقول ان ما أدخله رشيد رضا حول آيات السيف وقطع الرقاب . قائلًا: هى كلها آيات خاصة

بفكرة معينة ، هي حروب الرسول ضد مشركي قريش و لا يمكن إطلاقاً أن نعمم قضية مشركي قريش على السفارات اليوم ونقول بلا مصافحة مشرك اليوم باعتباره مشركاً وهو ما تبناه أركون بدراسته لسورتي التوبة والانفال يبين أركون تاريخية هذه المسألة إذ هي لا تنطبق خارج سياقها التاريخي .(أيضا ادخال التعليم حقوق الإنسان في التعليم في المدارس هو خطوة جبارة نحو التحديث ، نحو تحديث الفكر العربي ، العقلنة غير الفكر ، لماذا القول بعقل عربي ، لا يوجد عقل فرنسي ، العقل عقل إذن المسألة هي الفكر .

فريدة النقاش: أنا كمان كنت عاملة ملاحظة

العفيف الأخضر: أنا أتحدث وأنتم تصرفوا في النص دون خيانة لروح النص .

فريدة النقاش: قبل أن نبدأ النقاش سنأطرح نقطتين حتى ندخلهما في النقاش أشعر أنهما منطقتا توتر ، الأولى خاصة بالحادثة العربية ، بالحادثة في الشرق الاسلامي العربي وهناك كتاب مهم للأمريكي ليبيتر جران (الجنور الإسلامية للرأسمالية) هذا الكتاب يطرح مقولة مختلفة عن التي طرحها العفيف : وهي أنه كانت هناك بذور للنمو الرأسمالي في مصر تحديداً في القرن الـ ١٨ وجاءت الحملة الفرنسية نتيجة لانها دخلت باسم المصالح الاستعمارية قوضت بذور الحداثة ، وهذه نقطة أدعوكم لأن نضعها في الاعتبار ونحن نتناقش النقطة الثانية خاصة بما طرحه العفيف حول المدرسة ، الثلاث آليات التي طرحها لدخول الحداثة لبلادنا أو إلى الاطراف عامة وهي التعليم والسياسة وحقوق الإنسان.

العفيف الأخضر: التعليم والحداثة السياسية

فريدة النقاش : ثم حقوق الإنسان ، هنا نقطة توتر أخرى هي كيف يكون بوسعنا أن نفعل ذلك بدون قاعدة صناعية؟ يعني هذا البناء كله فوقى كبير وهل القضية في تونس ماشية في الاتجاه الذي نتطلع إليه أم أن هناك مشكلات إذا أن ذلك لا يتم على قاعدة انتاجية وخاصة إنه مسألة بناء قاعدة انتاجية كبيرة في ظل العولة مسألة ملتبسة وشائكة ، أردت فقط أن أسوق هاتين النقطتين قبل أن نواصل بالنقاش .خعمل دايره .

مجدي عبد الحافظ: هو بالنسبة لما قبل الحملة الفرنسية أنا متفق مع كلام مدام فريدة

لأنه بالفعل الدراسات تقول أنه كان فيه شكل من أشكال التطور الجيني للمجتمع المصري والجملة الفرنسية عطلت نموه بدل ما الناس يخترعوا النمو الخاص بهم وجدوا النموذج الجاهز ليجيب على كل أسئلة الحاضر والمشاكل المطروحة فابتدوا يأخذوها ، بس أنا في تصویری إنها مسألة صحيحة منذ أن وجد النموذج الجاهز لم يعد هناك سبب لدى الناس لكي تخترع نموذجا آخر ده بالفعل لو كانوا سابوهم ، لأن الاستعمار حطم الكثير لكن مجرد أن النموذج ده يقدر يجاوب على الأسئلة اللي مطروحة لكن ده مايمنعش اتنا ندرس ما حدث في الواقع المحلي ونشوف إيه تفصيلاته لكن ده مش معناه إن احنا هانستوحى النموذج اللي كان قبل كده لمجرد أنه محلي وليس ممكن أن عشان نطلع منه حداثة جديدة لأنه طبعا مش ممكن هانخترع الأشياء اللي اخترعت مرة ثانية وليس ممكن أن بناء النظريات التي قامت عليها الحداثة مرة ثانية إذن النموذج الغربي نموذج ييقدّم نفسه بانه نموذج كوني ممكن نعترض أو نقبل لكن في نفس الوقت لابد أن تقره هو بالفعل بيقدم اجوبة على أسئلة حقيقية بيعاني منها الواقع العربي دي بالنسبة للنقطة الأولى ، النقطة الثانية، أنا أعتقد أن العفيف ما كانش بيتكلم عن النموذج التونسي باعتبار نموذجا ، لأن النموذج التونسي اليوم بالفعل به مشكلات كثيرة منها حقوق الإنسان ومنها التحديث السياسي وأشياء كثيرة ولكن في تصویری النموذج التونسي لايقدمه بصفته نموذجا ولكن بصفته تجربة تونسية في التعليم ، يعني أنا أقصد أننا ناخذها في هذا الإطار ولا نعممها ، الشئ الأخير أنا حاسس أن هناك التباساً ، هذا الالتباس حتى في التحديث ، هل يقف التحديث على قاعدة أنا لابد من الانطلاق من التراث الإسلامي مرة أخرى في محاكاة مع اللي بيحصل في أوروبا وهو ما ويوصلنا مرة للتوفيق ومرة جديدة للتقليق أم ننتقل من فكر كوني بالمعنى الفكري الكوني الحديث للحداثة العام . الكلام الذي قاله العفيف أشعر فيه التباس في هذه النقطة فما القاعدة التي يمكن الاستناد عليها وهل فيه كويرى بين الاثنين ، هل هناك صلة بين الاستناد على هذه التوفيقية إذا صح التعيين أو هذا الاستبعاد يعني هل ، العلاقة بالتراث ننقطع أم

ماذا وكيف تكون هل هي علاقة استيعابية قطعية أم هي علاقة استيعابية نقدية ، لكز حتى هذا ملتبس ، وهاتان تقریباً النقطتان اللتان كنت أود التحدث فيهما .

طلعت الشايب: النقطة الأولى التي كنت عاوز اتكلم فيها ، هو كلام الأستاذ عفيف أن الشريحة البرجوازية الصناعية فشلت في عملية التحديث وأدى بها الأمر إلى تريف المدينة بدلاً من تمدين الريف ، أنا كنت شاهداً على نموذج من هذا النوع في الستينيات في بلد اسمها شبين الكوم في وجه بحرى في مصر عندما أنشئ مصنع للغزل والنسيج في شبين الكوم وجاءوا بشباب الفلاحين من القرى مباشرة إلى مصنع نصف اوتوماتيكي وأصيب شباب الفلاحين بالذهول أمام الماكينات وهم (جاين) فاهمين إنهم هايديورا الدولار بتاع النسيج ويعدين دخلوا المصحات النفسية ، هذه صدمة حضارية حقيقية لأن بالفعل أصلا لم تقم شريحة برجوازية من الأساس والنقطة دي بتأخذنا حاجة ثانية وهي أن بروز شريحة برجوازية صناعية وشريحة عمالية اجتماعية يعد تطوراً طبيعياً لحركة المجتمع ككل أما التي حصل عندنا انه ادعت شريحة انها شريحة برجوازية صناعية هي كانت في الحقيقة وريث الانقلاب العسكرى ، الذى اعتقد انه يفهم فى كل شئ حتى فى تطور المجتمع لدرجة أنه يعين نفسه شريحة صناعية تفكر فى تصنيع أو فى تمدين هذا المجتمع حتى أنهم رأسمالية الدولة ، يعنى رفعوا شعار رأسمالية الدولة أوروبا الصناعية كان عليها أن تبحث عن سوق صح المفروض أنه لا رفض ولا قبول للحدثة المفروض أن الحدثة تنشأ تلقائياً حضرك بتقول أنها أصبحت عندنا (عرض مفروض) .

أصبحت مطلباً شبه مستحيل لم تصبح عرضاً لا يصح أن تكون الحدثة عرضاً مفروضاً .

طلعت الشايب : ولا أيضاً مطلب مفروض ، بل نمو طبيعى لحركة المجتمع ككل ، تحولت الحدثة إلى طلب داخلى والطلب الداخلى مش حدثة والحاصل عندنا هو طلب منجزات حديثة فنتيجة حركة الحدثة التي هي حركة فكرية بالاساس يعنى استخدام الانترنت أو التليفون -مثل الأمثلة التي ضربها العفيف- ، هي استيراد منجزات حضارية

فصل الدين عن

السياسة خطوة أولية

نهائية ومنتج نهائي لا تمتلك الوسائل التي تؤدي إلى بروز هذا المنتج في المجتمع ، هي حركة مزيفة ، هي أصلاً ليست مطلباً للحدثة لأن المجتمع أصلاً ماوصلش إلى هذا المستوى ، (كيف نصبح حديثين لاحداثه إلا الحدثة الغربية كما قال الأستاذ العفيف ، وهذا بيغفركنى يكلام صامويل هانجتون وهو متأثر (The west and the rest) الغرب والباقي ، أصل مفهومنا للحدثة هو هذا النموذج الغربى صحيح فيه مشترك كثير ، مشترك عام ومشترك إنسانى ومشترك ينطبق على كل الشعوب وكل المجتمعات ولكن ليس بالضرورة أن عملية تغريب (Westernization) لأن هذه الحدثة الغربية داخل فيها مكونات أساسية فى نسيجها أدت إلى هذا المنتج الحداثى أيضا ، وهى أيضا حدثة نتيجة لأن المجتمع مامر بظروف اجتماعية واقتصادية معينة أدت إلى هذا النموذج من الحدثة فيه ، الأمية منتشرة صحيح الطريق هو المدرسة التعليم لا شك فى ذلك دون أن أحدث المدرسة ، ودون أن أحدث النوعين التعليم العام والتعليم الدينى لا أمل ، تحديث التعليم الدينى فى إتجاه وتحديث التعليم العام فى اتجاه هذه ثنائية قائلة «لهذا المجتمع ، هذه الازواجية فى التعليم هى سبب كل كوارث المجتمع المضرى ، أنا أعطى مثلاً لتبسيط هذا، مدرس اللغة العربية الموجود فى المدرسة أو مدرس التربية الدينية وأنا عندى مدرس التربية الدينية خريج الأزهر وعندى مدرس التربية الدينية خريج كلية التربية وعندى مدرس التربية الدينية خريج دار العلوم وعندى مدرس التربية الدينية جدوله اللغة العربية ويدرس التربية الدينية وخريج آداب أيضاً هذه كلها تناقضات وتضاريات ، نفس الشئ ، توحيد التعليم -لأن حضرتك تقول تطوير

التعليم الدينى يعنى تطوره وتنزع منه كل ما يدعو إلى العنصرية .يعنى تحويله إلى تعليم عام، ما يوحد هذا التعليم بدلاً من تخريج مواطنين مختلفين لأن لا شك أن المواطن هو حاصل التعليم احنا ننشئ مواطنين مختلفين نتيجة اختلاف التعليم ، فانا أرى أن عملية التحديث الدينى ، يعنى معناها تعليم مدنى ، يعنى توحيده التعليم كتب جديدة للتربية الدينية ، مناهج جديدة -زى اللى حصلت فى تونس- الطهاوى ومحمد عبده والظاهر الحداد ونصوص من الفلاسفة المسلمين .من هو ناظر المدرسة الذى يعمل ذلك ناظر المدرسة فى المجتمع ، يعنى كيف أتعامل مع التعليم كما لو كان جزءاً منفصلاً عن حركة المجتمع ككل ،الاقتصادية والاجتماعية ،ومن ذا الذى يستطيع ، يعنى مين اللى يقدر يغير منهج التعليم الآن بعد أن أنهم يانه يؤدى بالأولاد إلى الكفر ولتدريس الكفر لأنه يحذف كذا ويحذف كذا وكل يوم يكتشفون فى مناهج التعليم ما يخرب العقول المناهج التى وضعها أيضاً خبراء فى التربية ، طيب كيف تطور التعليم وأنا عندى الذين يهاجمون تطوير التعليم أقوى من الذين يقومون بتغيير التعليم ، يعنى القوة الضاغطة فى المجتمع هى ضد تطوير التعليم ، يعنى الهجوم على أى منطق حتى إصلاحى وليس الإصلاح الجبرى هو منطق ترقيعى أقوى من هذا المحاولات كلها.

الحدثة الفكرية إذن هايقوم بها التعليم ، الحدثة السياسية هايقوم بها الإعلام، يعنى هل حررنا الإعلام أولاً من قبضة السطوة الدينية المتخلفة وقبضة المجتمع المتخلف الذى يسيطر أيضاً على الإعلام ، حضرتك تعطينا تصور اننا نبدأ من أول وجديد نعمل اعلام جديد ، بتعمل حدثة سياسية جيدة ، بتعمل تعليم (على نظيف) ،المشكلة كيف ستتعامل مع واقع هو كل ما فيه ضد كل ذلك وشكراً.

أنور مغيث: ملاحظتى الأساسية تلتقى مع اللى قاله الأستاذ طلعت وتتعلق بالفرقة التى أثارها الأستاذ العفيف بين الحدثة فى الغرب والحدثة فى البلدان العربية وربطها بوجود برجوازية صناعية وطبقة عاملة وبناء عليه تشكلت الحدثة وأصبح من الصعب أنها تتشكل بنفس الطريقة عندنا، هنا هذا الوصف دقيق وتاريخى وموضوعى لكن كأنه بيعفى

المثقفين من مشكلة إسهامهم فى تغيير الواقع ، فعندما نبحث عن فشل الحداثة ونشير إلى التطور الموضوعى بأنه يسمح بظهورها ، ما دور المثقف وما الذى يجب أن يفعله ، سؤال ما العمل هو سؤال قريب من دور المثقف الآن ، وهنا عندما لا نجد فى الواقع مؤشرات توحى بتغيير الظروف الموضوعية يصبح دور المثقف وجهده كأنه قبض الريح وأمرأ عبثياً لأنه فى النهاية لن يجد برجوازية صناعية ولن يجد طبقة عاملة كما كان فى أوروبا فكل محاولات التنمية هى بلا طائل ، هذا لو ركنا للتفسير الموضوعى البحث أما لو أردنا أن ندخل نوعاً من التفكير الارادى ، بمعنى أن فهم الواقع وفهم المشاكل يسمح للإرادة أن تتدخل ، وبالتالي أحداث تغيير ، هنا ممكن الحديث عن دور للمثقف ويصبح هنا الامر مجرد أن نطالب المثقف بأن يتخلى عن كذا وكذا ويتبنى كذا وكذا وهنا تأتى المشكلة المرتبطة بهذا التدخل الارادى المثقف والتي أشار إليها الأستاذ طلعت تتعلق بأنه -وكفى ألا نقول ينبغي تحديث التعليم ، ينبغي تحديث الاعلام لأن المسألة تتجاوز فعلا إرادة الافراد وإرادات الجماعات ، ويعنى فداحة هذه المسألة من يحاول ، فالذى لا يحاول يستطيع أن يتخيل ويتبنى ولكن من يحاول فعلا يكتشف أن الأمر فظيع جداً فى التعليم وفى الجامعة وفى كل المجالات ، وإن أمامها ألف باب لكى تفشل ، وأشرت حضرتك (العفيف) لمنهج التعليم فى تونس قبل الإصلاح عن مبايعة الخليفة وعن تعدد الزوجات ، هنا ليس منهج التعليم الدينى ولكن حتى فى منهج القراءة ، منذ فترة استمعت لدراسة عن المناهج التعليمية فى القراءة عن العز بن عبد السلام يتسائل ، لماذا ترك الصالح -إسماعيل بلده فى سوريا وذهب إلى الصالح أيوب فى مصر أنه يبحث عن أكثر الحكام المسلمين قرباً من الشريعة الإسلامية يعنى يترك بلده ، والصالح إسماعيل كيف أفرج عنه ، أنصاره قتلوا الفرنجة الذين يسيرون فى الشوارع لكى يجبروا الخليفة على الافراج عنه ، ولماذا تحالف مع قطز ، لأن قطز رأى فى المنام أن الرسول بشره بحكم مصر فتحالف معه قائنه بالضبط مع بن لادن نموذج موجود فى التعليم ويدير للطلاب ويببجى فى البرامج التعليمية و كل من بيده سلطة وضع المناهج التعليمية يتخذون هذا الخط بشكل

واضح وبشكل محدد وبعيق وبالتالي مسألة إمكانية المثقف ، وما الذى يستطيع أن يفعله فى وسط هذا الموضوع مشكوك فى جدواها جداً.

فريدة النقاش: أريد أن أقول المعركة فى وزارة التربية والتعليم فى مصر معركة ضارية بين الوزير وبين الجماعات الدينية ، الإخوان المسلمون تحديداً ، لأن المجموعة المكلفة بوضع المناهج تتوغل فيها الجماعات الدينية توغلاً مفرعاً.

أنور مغيث: ثم أن كل محاولة للتجديد يجددوا بالعكس ، فى برنامج الشعر قالوا هانعله وحذفوا منه القصيدة الوحيدة لنزار قباني وابقوا على القصائد المتخلفة.

منى طلبه: سأحدث فى نقطتين أولاً حول الخطاب ، نوع الخطاب..الخطاب بيعمل حاجة من اثنين يايغيب الفعل يايذهب للفعل والخطاب الإسلامى الموجود حالياً فيه نوع من التعالى على الواقع الموجود، فيه نوع من المصادرة على الواقع وأنا أخشى أن يكون المثقفون قد تورطوا فى مثل هذه المصادرة على الواقع وكل الظواهر السلبية الموجودة فى مجتمعنا بسبب توغل الجماعات الإسلامية سواء فى قطاعات التعليم أو الإعلام أو .. أو لكن مغكرة أن كل مرة نبدأ أنه ليس هناك شئ قد تم انجازه على مستوى الحداثة فى مجتمعنا ، هذه بصراحة مصادرة غريبة جداً، وتورط فى رأى مع هذا الخطاب يبدأ من القرن الأول وكأننا لم نصنع شيئاً طوال الوقت كله بنوع من التعالى والمصادرة عن الواقع يكلمنى عن حد الرجم وقوانيننا شغالة على السجن ، بيكلمنى عن أن المرأة لابد وأن تجلس فى بيتها ٦٠٪ من طلاب جامعة عين شمس بنات ، الله يعنى عملية التعالى فى هذا الخطاب أنا أخشى أن تتورط فيها كمتقنين وندخل فى عملية الجدل المستمر وكان ليست هناك حداثة فى المجتمع وكأننا بالفعل فى القرن الأول الهجرى وكأننا بالفعل لم نصنع شيئاً وكل هذا كذب على المستوى الواقعى كذب..ان فيه بيننا خناقات بين الأديان مش حقيقى كلنا عندنا مسيحيين وكلنا بنتعامل معهم وكلنا بنشتغل معاهم وكلنا الجيش حضرتك بتكلم عن الجيش، لسه بنجيب لهم قصص احنا كمان بتتورط ونرد عليهم بقصص من أيام الرسول لنقول إن الرسول كان يسمح للقواد المسيحيين أو

المشركين بالدخول إلى جيشه ، احنا كان عندنا فؤاد عزيز غالى كان من اكبر القواد فى حرب أكتوبر ، يعنى هم بيورطونا فى خطاب ليس واقعيًا ، أنا بسأل نفسى الله أما ثلاث أرباع اللى قاعدين عندى فى المحاضرة بنات ، أنا باتكلم فى إيه ده وهم اللى بتقوله ده وهم ، ثانيا همه مش محجبات زى أيام الرسول ده اللى حاطه روج واللى حاطه ورد يعنى قصدى أقول علينا أن لا نقبل خطاب متعاليا على الواقع ومصادرة على الواقع ويجعلنا دائما نتحدث معه ونجادله فى هذا الشأن حتى يصبح جدلنا معه نوعاً من التثبيت للأفكار أكثر منه -فعلاً- تنوع من التغيير فانا أظن أنه لابد من الانتباه أنه فعلا مصرمرت بحداته وأن هناك أشياء حدثت وأننا لم نعد حتى فى قرن محمد عبده لم نعد فى قرن نبوية موسى التى كانت ١٩٠٩ كانت ناظرة أول مدرسة إشراف للبنات بتصفها مش هو ده الوضع لابد وان نرى الواقع ولما نخاطب هذه الجماعات وده اللى بيخلينا فى رأى غير قادرين على أبداع حلول ، فى رأى لابد أن نستبعد هذا الخطاب المصابر على الواقع والمتعالى على الواقع ونبدأ من واقعنا ، بالنسبة للمرأة مثلاً الاستاذ العفيف ، أنا ضربت مثل للمسلمين والمسيحيين فى مصر يعنى مافيش حاجة أنا أظن أسسها حقوق الإنسان بين المسلمين والمسيحيين فى مصر مما هو متوفر إلى حد بعيد أعلى بكثير جداً من فرنسا يعنى فرنسا لا يسمح لمسلم يصل إلى الحكم بلاش (بروتستنتى) يصل إلى الحكم .

عاطف أحمد : نظرياً .

منى طلبية : نظرياً . احنا نويار باشا كان مسيحياً اللى عمل الاصلاح فى مصر ، ودلوقتى نذكر اسماء من الجيش يعنى مش هى دى المشكلة عندنا واقعياً ربما يكون هناك مشاكل لكن أنا أظن جدل المثقفين مع هذا الخطاب يثبت ويجعل الناس يعيشون قرناً غير قرنهم ، وواقعاً غير واقعهم وغير حداتهم التى أحرزوها بالفعل فيه فصام لأن الخطاب غير مطابق للحادث فى الواقع الحقيقى ، البنت قاعدة وجنيتها المسيحية زميلتها وتتصور لها ويتعمل كل حاجة مافيش مشاكل بينهم ، هذا الخطاب هو الذى يجعلها تعيش فى

القرآن أعطى

المسلم حق الردة

فصام وتورطنا فى الجدل معهم فى هذا الشأن وعدم الوعى بمقدار ما حققته الحداثة لهم ويمقدار ما حققه رجال كثيرون فى مصر ونساء هو نوع من الافلاس والحقيقة هوالتورط فى الافلاس وعدم القدرة على الابداع دى حقيقة ، بالنسبة للمساواة هنا بين الجنسين احنا عندنا المرأة المصرية الغلبانة دى بتشتغل أكثر من الرجل مائة مرة ، بتطلع بالقفه بتاعتها وترمى نفسها على السيارة ويتدهدل ويتشتغل احنا عندنا دلوقتى المترفات الطبقة البرجوازية المتعلمة غريباً بشكل غريب تماماً هم دول اللى قاعدين فى البيوت ، صاحباتى اللى فى المدارس الفرنسية ومن طبقة اعلى يقولك لأنتشتغل نعمل إيه ..إيه الشغل احنا نقعد وحد يصرف علينا ، إذن المسألة لابد أن ندرس فى واقعنا ، المصادرة على هذا الواقع نقطة أساسية بالنسبة للمتقنين المصريين نبدأ بما حدث فى الواقع والخطوات التى تمت بالنسبة للواقع.

عاطف أحمد: مايبعملوش كده علشان تعليمهم عربى.

د. منى طلبية: بغض النظر أنا المشكلة عندنا مش هى المشكلة اللى هناك بغض النظر فيه ستات بتخرج تشتغل الشغالات مثلاً والرجال قاعدين يشربوا حشيش ده قطاع كبير جداً.

مثلاً ده قطاع كبير جداً من النساء ولا اتعلموا حقوق الإنسان ولا تعلموا الثورة الفرنسية قالت إيه ، وبعدين فيه حاجة كمان احنا خروج المرأة عندنا لا يمكن يكون بهدف التحرر كمرأة بس لابد أن يكون داخل إطار قيمي يعنى مافيش واحدة بتقول أنا اشتغل عشان أنا واحدة ست ولازم أحارب الرجل لابد أن يكون داخل إطار قيمي يا إما عشان

اراعى الاولاد يا إما عشان قيمة العمل ياما عشان اساهم فى المجتمع بتاعى فيه إطار
 قيمى فى المجتمع بتاعنا بيدبنى إطار مختلف فكرة الخروج للتححرر كإمرأة فى مقابل
 الرجل دى مش موجودة فى ثقافتنا أن هؤلاء يتحدثون خطابا غير واقعى ومتعال على
 الواقع ومصادراً له نحن نتورط فى هذا الخطاب غير الواقعى حينما نقوم بعملية جدل
 معه وضرب أمثلة مقابلة من التراث الإسلامى تدحض ما يقولون ، خاصة وإن هذا التراث
 الإسلامى يمتد ١٤ قرناً ويمتلئ بالشئ وضده مش هانخلص دى حكاية مالهاش حل
 يعنى تراث أمة مليئ وزاخر جداً بكل الآراء هذا جدل فى رأى اجوف، وعلينا أن نبدأ من
 الواقع ومن دراسات الواقع وما تم تحديثه /فعلا فى المجتمع العربى والمصادرة اننا لسنا
 حداثيين إلى الآن هذه المصادرة غير واقعية لأنه فعلاً تمت خدائته ولا بد أن نستكمل ،
 ونشوف احنا وقفنا فىن ونستكمل ، دى نقطة، والأخيرة : حقوق الإنسان فكرة انى أضع
 حقوق الإنسان كويس طبعاً ،بواهيل ولكن فيه سؤال احنا فى ثقافتنا شئ ورؤيتنا للواقع
 شئ، حقوق الإنسان والثورة الفرنسية اللى أعلنت الحرية والمساواة ده كان نتاجه ١٧٨٩
 فى ١٧٩٨ ،وكانت تستعمر مصر ، حركة حقوق الإنسان مرتبطة بالاستعمار فى ثقافتنا
 حركة حقوق الإنسان فى الغرب مرتبطة باستعمارنا على جميع المستويات ، مسألة أن أنا
 أظن أن حركة حقوق الإنسان هى السبيل ، فهذا يعنى اقتلاع من الجذور لهذه الثقافة
 لأن فكرة الاستعمار التى توتر هذه المنطقة دى حاجة برضه لا بد من رؤيتها استبعاد ما
 هو قائم الآن ده برضه خطاب يتعالى على الواقع ، هناك دولة دينية متعسفة قائمة فى
 قلب الشرق الأوسط تدعمها كل الدول المنادية بحقوق الإنسان ده برضه مصادرة كيف
 يعنى أن نقول فيه حقوق الإنسان ومش حقوق إنسان ويحدث ما يحدث فى فلسطين الآن
 ، لازم نبقى واقعيين مش معقول فيه حقوق إنسان بالنسبة للمواطنين فى هذه البلدان لكن
 هذه البلدان تقوم على الاستعمار الأوروبى وعلى الهيمنة على الآخر ومن الصعب أن
 يتبنى الآخر نفس الخطاب وهو فى وضعه وده هايرجعنى لحاجة حضمرتك قلتهأ
 الديمقراطية تقوم على قاعدة انتاجية كبيرة ، هذه البلدان يعنى نهبت مانهبت وما تزال

تنهب ما تنهبه وتقيم ديمقراطيتها على حسابنا بشكل مستمر ، فرنسا لها إلى الآن
محميات ومستعمرات ، خلينا واقعيين برضه حقوق إنسان إيه هما دول النقطتين فيما
يتعلق بحقوق الإنسان.

أشرف أبو اليزيد: كان السؤال الأساسي قبل حديث الدكتورة منى طلبة. هو ما قاله
الأستاذ العفيف في البداية أن هناك مساراً للديمقراطية وأن هناك مساراً لحقوق الإنسان
ومساراً للحدائق ، وهذه المسارات ليست نقطاً بعينها ، إنما يعني هذا امتدادات ، ونحن
عندما ندخل على أحد هذه الامتدادات من أين نبدأ وهل يجب علينا أن نمشي في كل هذا
الخط الطويل الذي قطعتة التجارب قبلنا حتى نصل إلى ما وصلت إليه ، إذا اعتبرنا أن
نموذجها الحدائى هو النموذج الأمثل وهذه نقطة أساسية لأن إذا اتخذنا من هذه
النماذج النموذج الهدف فهل يجب أن نمر بها وإذا لم يحدث ذلك من أين نبدأ.

فريدة النقاش: أشرف بيطرح سؤال خطير جداً وهو مسألة حرق المراحل .

شوقي جلال: الحقيقة القضايا المثارة كثيرة جداً وسأبدأ من السؤال الذى سألته
الاستاذة فريدة حول كلام بيترجران وحديثه عايز أقول انه فيه ما هو اسبق من هذا
ايضا كتيب للدكتور عماد الدين ابو غازى عن بنور ازمة النهضة وييقول أن كانت مصر
على وشك التحول إلى نظام رأسمالى فى القرن الخامس عشر لولا بعد ذلك دخول
الأتراك وكان الأساس فى هذا : الممالك الشراكة وكنت قد قدمت تفسيراً لذلك لماذا
الممالك قلت لأن كانت مصر خاضعة منذ سقوط الفرس لقوى متروبوليتان خارجية تنهب
خيراتها وتنزعها للخارج ولأول مرة فى تاريخها الممالك والوافدين من الخارج أيضا
أصبحوا محصورين ليس لهم متروبوليتان فى الخارج فبدأ يتكون فائض انتاج ومخزون
استثمارى وده كان الفرق الوحيد ولذلك كانوا يتخون موقفاً ضد القوى الخارجية عشان
أصبحت لهم فى الداخل مبررات للوجود .

والحقيقة القرن الـ ١٦ يشكل مرحلة مفصلية فى العالم سواء للاكتشافات الجغرافية
بالنسبة للتوسع وأيضا كانت الصين فى القرن الـ ١٦ أيضا على وشك التحول للنظام

الرأسمالى وحقت انجازات وابداعات تقنية تؤهلها لذلك لولا الاستعمار الغربى أيضا ، هذه نقطة تجعلنا بعد كده نقول نحن بحاجة إلى مراجعة الأطر الفكرية الحاكمة لنا سواء المأخوذة عن الغرب أو نصطنع لنا بانفسنا إطاراً موضوعياً وللأسف احنا لما نجى نتكلم عن الفكر العربى ، أنا فى تقديرى ليس هناك فكر عربى ، لاننى أستطيع أن أقول الفكر السياسى الفرنسى ، أو الفكر الاقتصادى الأمريكى ، أو الفكر الفلسفى الألمانى وأحدد تيارات الفكر والتطور التاريخى لها وكيف عدت بعضها بعضاً على عكس العالم العربى ليس هناك فكر عربى ، وذلك لأنها هى جزر وأفراد منعزلين وأنا يمكن عرضت هذا فى كتاب عن الفكر العربى والسيوسولوجيا الفاشية لأن المحور الأساسى للفكر هو منتج بدل الفعل والفكر معا فى الواقع وهنا أقول أن الحداثة التى نتكلم عنها ولا نزال نتكلم فى الإطار الغربى ونحن بحاجة لرؤية نقدية لهذا الإطار الغربى أيضا لكى نضع رؤية لمعنى الحداثة فى تطورها التاريخى وليس من حيث انتهى الغرب وقال أنه هو الهدف والغاية وهو المنوط به تاريخياً أن يكون المتحضر ، بالعكس الحداثة والحضارة عملية تاريخية ، الحضارة عملية تاريخية متطورة منذ أن انتصبت قامة الإنسان على الأرض حين صنع سكناً وبدأ يقطف الثمار ، هذا شكل من أشكال الحداثة ، وتطور وهناك صراع بين المجتمعات وبعضها نحن الآن فى مرحلة معينة وهى مرحلة الحضارة الصناعية والحضارة المعلوماتية ومن هنا هذا مستوى حضارى آخر مشكلة العالم العربى انه فى آخر الطابور أولاً مصر لا تزال أسيرة آثار فترة طويلة وأيضاً قامت بها محاولات . و كان المجتمع المصرى خارج نظم الحكم والفعل الاجتماعى ونظم الانتاج أيضاً ، فى محاولات النهضة حرصنا وهذا ما تفعله أيضاً المجتمعات العربية الأخرى على حيازة التقانة وليس توطين الثقافة التى هى تعنى تطوير العلم وتطوير الجامعات ، الجامعات نشأت كاستجابة لواقع مطلوب مع التطور الصناعى وارتبط بالعملية الصناعية الثورية المتجددة باستمرار وبالتالي مع الاكتشافات والاختراعات مع تطور التعليم ويصبح بناء إنسان وفقاً لمقتضيات الحضارة مطلوباً ومتطوراً وسريعاً نحن سنعيش الآن حتى مع الحضارة الصناعية

بصدد إنسان من نوع جديد ، إنسان مطلوب منه سرعة رد الفعل سيتغير بيولوجيا واجتماعيا وبالتالي نحن التغيير ده كله وأن يكون الدفع فى اتجاه هذا التغيير استجابة لواقع الفعل الاجتماعى المحلى فى إطار التفاعل العالمى وهنا انكر تجربة اليابان هذا هو ما فعلته اليابان وتأخرت الصين فترة لانها لم تستجب لهذه الطريقة -اليابان حين حدثت الصدمة مع الغرب بحثت لماذا وكيف ثم أخيرا دار صراع فى الداخل حول الوقوف فى إطار التراث الدينى أو الحكمة الدينية ، عندهم كيف نصل إلى الحضارة ولذلك يطرح سؤال ايهما أحب إليك كونفوشيوس أم الحقيقة فكان الرد بعد صراعات المثقفين لقد كان كونفوشيوس ساعياً للحقيقة وبالتالي فهي الحقيقة وهو مع الحقيقة وبالتالي انحازت إلى الحقيقة العلمية .

تأخرت الصين فترة لأن الصراع دار رغم محاولاتنا مثل العشرينات فى مصر وغيرها أن تندمج مع الغرب وتفهمهم برؤية نقدية واليابان أيضا فهمته برؤية نقدية ثم أخيرا من خلال هذا الصراع وصلت إلى حالها .

السؤال هنا ما نوع الاستجابة لدى المجتمعات العربية، وأنا أقول المجتمعات لا أقول العالم العربى لأن هذا وهم نحكيه ، ما هي نوع الاستجابة إزاء التحدى الخارجى الذى تشاهده هنا يأتى دور الثقافة الاجتماعية المعيشة وأنا فى تصورى اننا لسنا بحاجة إلى قراءة نقدية للإسلام وإنما قراءة نقدية للثقافة الاجتماعية المعيشة التى تشكل التأويل الدينى وليس الاسلام نحن نعيش فى إطار تأويل دينى ، يشكل التأويل الدينى جزءا من هذا الإطار.

الهدف الآن بناء انسان جديد، سنبنيه من خلال التعليم يعنى من ضمن الاخطار التى نعانى منها التعليم القائم على الاستظهار ، الاستظهار / النص ، هذا الاستظهار وحده يؤثر أيضا بيولوجيا فى بناء المخ وتعامله مع الظواهر وكيف يتعامل مع الواقع ، وهى نفس السلطة الاستبدادية التى تحكمنا فى مجتمع بطريركى ، النص يحكمنى والرئيس يحكمنى و.. إلخ وأنا مشلول .

نحتاج أيضا تعليم الحضارات لأن العالم متعدد الحضارات المتساوية ، ثم يحتاج الموقف الغربى الذى عشناه لرؤية نقدية لأننا نحن ننتلقى الثقافة والفكر الغربى كجزء من الحداثة نحن بحاجة إلى قطيعة نقدية مع الإطار الغربى وصولا إلى رؤية من عندنا بشرط أن تكون قرينة فعل تطورى حضارى فى المجتمع بدون ذلك سنظل نحلق فى فراغ نظرى وبتصارع معاً دون الوصول إلى نتيجة.

عندما نتحدث عن تريفيف المدينة هناك فرق ما بين هجرات الريف إلى المدن الصناعية فى الحضارة الصناعية وبين هجرات الريف ، عندما هناك فيه صناعة وهنا أزمة اقتصادية فيه فرق بين ده وبين ده ، أخيرا عايز أقول فى الثقافة الاجتماعية نحن نعيش المجتمعات العربية كلها نعيش فى ظل ثقافة هرمية ، والثقافة الهرمية التى تمثل مرحلة انحسار وانحدار الحضارة المصرية القديمة التى نرى أن الرب هو كل شئ وهو الفعل لأننا نزرع فى الغيب ونهجر الدنيا إليه ، وهذا السائد اليوم كجزء من التأويل الدينى القائم اسلامى ومسيحى واليهود الشرقى أيضا أى فى الديانات الثلاثة وأن تشكل الفعل الاجتماعى هو البوصلة الموجهة للمصلحة الاجتماعية التى على ضوئها نحدد كيف يكون نظام الحكم ، الديمقراطية هى مسار استجابة آلية لمجتمع يتغير ضد نفسه وبالتالي مقتضياته كى يعيش و يحقق مصالحه لابد من كذا وكذا وهذا يتحدد من خلال الفعل الاجتماعى وشكراً.

على مبروك : فى الحقيقة الكلام الذى سمعته من الأستاذ العفيف والاخوة والزلاء المناقشين ربما يجعلنى اتمسك أكثر بما افعل كدارس للثقافة العربية والفكر العربى وأسف طبعا أنى باقول الفكر العربى ، أنا لو أخذت خطاب الأستاذ العفيف وحلته ، سأجد أن هذا الخطاب قائم على آلية معرفية تراثية بالأصالة وهى آلية المقايسة الفقهية؟ الآلية المنتجة للخطاب ، والآلية المنتجة للخطاب هى آلية المقايسة الفقهية بمعنى أنه وضعت الحداثة الغربية كأصل يقاس عليه الفرع ، فطالما شروط الأصل رائدة فى الفرع يصح القياس هنا بالتاكيد ، هذا تصور هو قياس الغائب على الشاهد كما يقال ، أو

قياس لفرع على الأصل إذا شئنا أن نستخدم مفردات أوضح إلى حد ما ومن هنا الازمة
أزمة العقل الذى يتفاعل معها بالاساس يعنى أنا فى ظنى انه التركيز على الحادثة
الغريبة أصل وعلى كل حادثة أخرى تصنع نفسها بالقياس إليها أنها فرع هذا أمر فى
حاجة إلى تحديد هل يمكن الحديث عن الحادثة بدون صفه ، أنت (العفيف) أشرت
لاحداثه إلا الحادثة الغريبة ، ألا يمكن الحديث عن الحادثة بغير هذه الصفة الا يمكن
الحديث عن حادثة -ليست كونية أو مطلقة- بل حداثه، ألا يمكن الحديث عن الحادثة
وتخلق قيمها؟

عاطف أحمد: حدد لنا (حداثتك) فى نقاط:

على مبروك فهنا الأمر فى حاجة إلى تحليل هذه الاليات التى يتم التعامل من خلالها
مع الحادثة وبالتالي تصبح قضيتنا الاساسية هى قضية تفكيك العقل ، القضية فعلا
قضية عقل ، كل فى تعامله مع قضاياها بشكل مستمر لا يعرف الا أن يبحث لها عن
أشياء يبحث لها عن نماذج يرفقها بها ، كيف تتحول المشاكل جميعا إلى مجرد فروع
لأصول سابقه ، الأصول عندى ، عند السلف ، عند الغرب ، ليست قضية كبيرة ، القضية
هنا هى الآلية التى يعمل بها الأصل ، لنفتح الباب أمام حداثات أخرى وبالتالي يصبح
لثقف دور أنا ليس عندى تشاؤم فى الحقيقة ، دور المثقف والأمر هكذا تحول ، أنا لما
أجى أحلل الحادثة أو أقل ظاهرة الحادثة العربية ده مش محتاج احط امامى أصل
وأفضل أمتشى وأقول ده فيه كذا وكذا .. وهذه العناصر كذا وكذا وكذا مش موجودة
على سبيل المثال ده فى دراسة لى عن أحد المثقفين المغاربة مقايضة الغياب على الغياب
العقل العربى يمارس أحيانا مقايسته ، يمارس مقايضة الحضور على الحضور يعنى إذا
حضر هنا يبقى لأنه كان حاضرا هناك وإذا غاب هنا يبقى لأن الشرط غايب ، دور المثقف
الآن هو تحرير العقل ، العقل الذى ينتج حداثه ، طول ما هو مقيد بسلطات تعيقه وتمنعه
فالاشكال الرأى هو فى العقل الحقيقة الذى ما أن يفكر إلا ويبحث عن أصله ، ما أن
تظهر له مشكلة الا ويبحث لها عن اصل ، أنا أريد أن أفكك كيف تشكل قضيتى الآن

مثمنا اشار الأستاذ شوقي هى الثقافة ليست فقط بمعناها الاجتماعى لكن الثقافة بمعناها العميق ، حتى الدين،أنا فى حاجة إلى قراءة واسعة ، يمكن الدكتور عاطف اشار إلى الموروث الثقافى و إلى تجلياته فى الممارسة المرجعية و .. إلخ أريده للإجابة عن سؤال كيف تحول إلى آليات منتجة للمعرفة لم نزل نفكر بحبسها إلى الآن حتى ونحن(اسمح) لى نفكر بفوكو أو دريدا . نحن نفكر فى جميع الأحوال بأصول وهذه الأصول جاهزة وهذا دليل على أفلاسنا ، أزمة الحداثة ليست أزمة غياب الشروط الموضوعية ، البرجوازية الصناعية وطبقة عاملة وبروليتاريا صناعية لا أنا فى ظنى أنه أشكال الحداثة أوسع من هذا بكثير ، يمكن الحديث أنه حصل فى العالم العربى إلى حد ما تكونت برجوازية مش لازم تبقى برجوازية صناعية لكن برجوازية على نحو ما . وقد تكون هناك أيضا طبقة عاملة صحيح هشة ورثة وبئون وعى إلخ .. ورغم هذا فلا شئ يحدث وهذا يدفعنا إلى السؤال: لعل هناك شروطا أخرى هى التى تعيق انتاج الحداثة فى العالم العربى ، لعلها شروط عقلية بالاساس وهى فى طبيعة تكوين هذا العقل (وأنا عندما باتكلم عن عقل عربى أنا لست خائفا فائنا فى ظنى أنه يمكن الحديث عن عقل عربى وعقل فرنسى وأوروبى وعقل صينى وعقل يابانى . لماذا كانت كتب نقد العقل العربى ، وما اتكلمش عن العقل الأوروبى .. يعنى استطيع أن أبرر لأن العقل فى النهاية ماهواش كيان بيولوجى ، العقل مقولة ثقافية فى الأساس والعقل ليس معطى ، العقل تكوين ويتكون داخل ثقافة وضمن شروط ثقافية وتاريخية محددة ولهذا السبب لأن فيه عندى فروق بين الثقافات وداخل شروط هذا يمكننا الحديث عن بنية ثقافية معينة ويتشكل ثقافى معين وله ملامح معينة ، العقل كما قال ديكارت من حيث انه ملكة ، أنا والأوروبى متفقان فى الملكة لكن لما الملكات دى بتشتغل ، بتشتغل فى سياق غير السياق هنا غير الذى بتشتغل به هناك .

من هنا شئ مختلف بالتأكيد من هنا أنا شايف أن الأمر فى التحليل الأخير ليس فى غياب الشروط ولهذا السبب بالغ أن هناك دوراً للمثقف ، دور كبير جداً دون انتظار الشروط الموضوعية لأننا لو انتظرناها لمئات السنوات ولن نتحقق الشروط الموضوعية ،

طالما بقيت المرأة خاضعة لقوامة الرجل

ستظل مجتمعاتنا مشلولة

الأنظمة التي عندنا مش هاتعمل شروط موضوعية ولابرجوازية صناعية ولا طبقة عاملة وأظن أنه حتي دلوقتي في ظل الوجه الثالث من الحداثة ما أظنش الحداثيين العرب مشغولين قوى بالتصنيع .

في دراسة لى عن العرب وما بعد الحداثة والبداءة ، وكيف أن موجة ما بعد الحداثة الراهنة تتجاوب بشكل بالغ الغرابة والتطابق في الوقت نفسه مع حالة البداءة التي لم تفارق الخيال العربي وعالمه للأكن.

عاطف أحمد: ظاهريا بس.

على مبروك: لا أستطيع أن أقول ظاهريا ، لكن التماثل لافت ، على أية حال، أنا لا أريد أن أتجاوز النقطة الأساسية التي أنطلق منها ، هو انه الآن على المثقف دور وبور بالغ الأهمية ، دوره تفكيك البنيان والحفر تحتها وصولاً إلى الكيفية التي تشكل ضمنها وضمن سياقها العقل الذي ينتج المعرفة والتي كان موكولا إليها انتاج الحداثة.

فعندما انتج هذه الحداثة ، أنتجها بهذه الطريقة ، وهنا اسمحوا لى أن أنتقل إلى نقطة أخرى في الحقيقة عندما نتكلم عن الإسلام النقدي تحديداً ، وضربت لنا أمثلة يا أستاذ عاطف ، والاستاذ العفيف طرح أمثلة لكيفية تشكل النص، كيف كان بيتشكل ، وكيف أن الفترة الأولى كانت فترة.

العفيف الأخضر: عفواً . في الكلام اللي قلته منهجياً..

على مبروك : أتصور أن لدينا فترة في تكوين الثقافة ، فترة مركزية جداً ، إذا كان

غيرنا يشغل على الثقافة ، فالثقافة هذه من أين تبدأ ؟ تحديداً العمل يبدأ أين ، أنا أتصور أن الإمام الشافعى وما فعله الامام الشافعى ، بالغ الأهمية ، لأن الامام الشافعى ، حاول أن يضيف شكلاً من أشكال القداسة على دور المثقف، المثقف الذى هو هنا الامام الشافعى ، باعتباره النموذج للمثقف فى هذه الفترة هو الإمام الشافعى ، ففى كتاب الرازى المشهور «عن الشافعى» وعندما قرأت نص رسالة له فوجئت به بيفتتح نصه بالحديث عن نسبة أنا فلان الفلانى الفلانى -حتى المطلبى- ليصل بنسبه لعبد المطلب تحديداً ، لم تمر المسألة ، ولم أكن أتخيل أن أحداً يكتب أكثر من ٥٠ صفحة فى أهمية النسب لكن بالنسبة للإمام الشافعى تحديداً ، يعنى بالغة الطول طويلة جداً ، فيه حديث عن النسب وعن الاستفادة من هذا النسب .

الذى يستفاد من هذا النسب ، ضرب حالة من القداسة حول الإمام الشافعى ، يعنى مثلاً ، من خطأ الشافعى (كما يقول الراوى) من خطأ الشافعى فقد أهانه ،ومن أهانه فقد أهان قريش ،ومن أهان قريش فكأنه أهان النبی ومن أهان النبی فكأنه أهان الله .

على مبروك : لما تيجي تحلل عمل الشافعى بعد كده هنلاقى ، الأشياء كانت مفتوحة ، يعنى مثلاً كان فيه دور للتجارب الشخصية والتجارب الاجتماعية والأعراف والتقاليد فى بناء الاحكام سابقة على الشافعى ، لخبرة الصحابة ولخبرة الناس العاديين ، كان فيه حاله من حالات الحكم الفقهي يتدخل فى سياقه عوامل إنسانية متعددة ، هى نفسها ليست ذات علاقة بالنص ، ماذا حصل عندما جاء الشافعى ووضع الأصول ، استبعد تماماً كل حالة صلة بهذه التجارب الإنسانية والاجتماعية والتاريخية واستحضر فقط ما هو نص ، وكل تخريج بعيد عن النص هو إستحسان ، وفى كتابه فصل الاستحسان فقد قال برأيه ومن قال برأيه فقد كفر ، يعنى هذا هو الذى فعله الشافعى ومن بعده الاشعرى مهم جداً الوقوف عند هذه المحطة ورؤية ما الذى جرى ماذا حصل من هنا تحديداً ، وليس لدى الطموح فى مرحلتى الحالية أنى أتعامل مع النصوص وأرى كيف تشكلت بطريقة معينة لكن لدى الطموح فى اللعب فيما بعد النص ، فيها بعض النص المؤسس

حدث خلاف حول ضرب الزوجة بين

الرسول وأم سلمة من جهة وعمر بن

الخطاب من جهة أخرى وانتصر الأخير

إذا استعزنا خليل عبد الكريم ،فيما بعد النص أنا عايز أشوف إيه اللي حصل ، دلوقتى المرحلة اللي أنا فيها لا تسمح أنى أجيب النص والعب فيه لأنى خلاص حكمت على نفسى بالاستبعاد الكامل وعدم القدرة على الاقتراب من أى فئة لكن براجماتيا عمليا استطيع أنى أجى على المراحل اللاحقة وأشوفها كل تضيق ، كل استبعاد للإنسانى والعقلى والتاريخى والواقعى كيف تم وحساب من ، فهنا عملى ربما من خلال الحفر العميق الذى يتجاوز نابليون وحملته ويواصل إلى القرون الأولى ربما استتبعت أحداثاً من خلال هذه العودة القديمة جداً وكأن الحادثة لن تحصل إلا من خلالها.

د. عاطف أحمد: سأقول تعليقات سريعة جداً أولاً بالنسبة لفكرة بترجران بأن فيه رأسمالية كانت هاتبتدى فى مصر وأثناء الحملة الفرنسية ،هناك جدل وواسع وبالذات بين الاقتصاديين أو الاقتصاديين الاجتماعيين حول هل الرأسمالية التجارية تستطيع أن تصنع رأسمالية أى يفعل ذلك هل الرأسمالية التجارية وحدها ،كان فيه تجارة قديمة من قديم الزمن ، تجارة دولية وقائمة وفيها مكونات كثيرة يعنى فيه المكون التكنولوجى وهو يعنى لو استعزنا فكر فيبر فى الموضوع ده «العقلانية ، والبيروقراطية «والفردية» هذه ثلاث قيم مهمة جداً فى التفكير وليس مجرد رأسمالية تجارية يبقى معنى كده أن التطور الاجتماعى سوف يحدث.

كان هناك انتاج تحول إلى إنتاج للتصدير للغرب ومعنى كده إن كان فيه رأسمالية ، أنا أرى فى الحملة الفرنسية نقطة مهمة جداً لأنها ليست مجرد حدث ، إنما حضور للحداثة ، فكان هناك تقريباً تعايش مع العلم ومع التكنولوجيا ومع القوة ولأول مرة أحس المسلمون بذلك وهذا شئ مهم جداً ويتعمل ربود أفعال ويتحرك مطلب مهم جداً ، لكن الموضوع معقد شوية ، فكرة ان النموذج الغربى نموذج كوني ، أنا أميل للفرقة بين ما هو حضارى وما هو ثقافى ، ما هو حضارى ملك للبشرية كلها وما هو ثقافى ملك لمجتمع ، ظروفه الخاصة ، ما هو حضارى ، متعلق أكثر بالتكنولوجيا ببيعره ماكس ويغر بأنه هو قابل للتراكم ، للنقل والاستخدام طالما أنه موجود ، أنا أميل أيضاً لفكرة أن الحضارة ، عملية إنسانية تاريخية مصاحبة للإنسان منذ انفصاله عن المملكة الحيوانية واكتسابه خصائص جعلته يمارس عمله ويغير فى الطبيعة وهذه مهمة جداً إن فكرة الحضارة بتؤثر فى الطبيعة وتغيرها وبالتالي سيطرة الإنسان على نفسه وعلى مجتمعه ، الحضارة بالمعنى ده رؤية إنسانية أوسع ، تطرح فيها حلقات وتحقيقات اجتماعية وتاريخية وسياسية وهى تحقيقات تحدث فى مراحل معينة منه تنتهى لظروف اجتماعية وتبدأ فى حنة ثانية لكن العملية الحضارية مستمرة ، العمليات الحضارية مستمرة ، الثقافى هو الذى ممكن يبقى مرتبط بالظروف الشخصية ووبالمجتمع وده فى الثقافة أميل لأن يكون تكوين نفس - سلوكى بالمعنى ده ، أكبر منه حضارى ،

فكرة النموذج الأصل والنموذج الفرع ، وهذه الفكرة على مبروك الحقيقة يعنى باستمرار يرددها فى كل شئ تاريخى ، برضه الواحد يتوقع طريقته فى التفكير دايماً ، هايدو رعى شئ فى الموضوع ده ، آلية معينة ويحيل ليها كل التفسيرات يعنى أنا كنت عارف تقريباً ومتوقع إيه الموضوع المسألة هنا فيها تجريد شديد جداً فالكلام صحيح وجميل ، العقل وآلية العقل ، أين هو ، أمسكه كيف ، تحدده كيف ، يعنى احنا عايزين نتعامل مع كائنات واقعية ، مع واقعية ، هنا تكلم الأستاذ العفيف ، كان كلاماً حقيقياً جداً عن نشأة الحداثة فى الغرب ، فيه وقائع وربطها ببعض وقدم تحليل لها عند على

الحقيقة الفلسفة طاغية عليه جدوا بحيث انه دائما يحول أى حاجة لنموذج ما فى حين النموذج أصلا مش شرعى ، يعنى أيه اللى يخليك تحوله لنموذج بالشكل ده ؟ فمن هنا دى نقطة عابرة..

على مبروك: هى ليست عابرة .

د. عاطف أحمد: عابرة بالنسبة لى القراءة النقدية للإسلام مطلوبة ، أنا أرى أن الواقع التراثى هنا خطير ، وهذا أيضا بيرد على كلام الدكتورة منى من أن تعريفنا للحادثة هو الإلحاد ، خلىنا نقول هل عندنا حادثة ، ماعنديناش حادثة ، هل عندنا حادثة مشوهة أنا أميل لذلك ، أن هناك حادثة لكنها مشوهة ، مشوهة من امائها المحرضين ، زى ما فيه التكنولوجيا ، ممكن نتصور التكنولوجيا ، لكن العقلية المنتجة للتكنولوجيا غير موجودة ، تعاملاتنا مع بعضها ، طريقتنا فى الكلام ، طريقتنا فى فاعلية الواقع ، يعنى احنا مش فاعلين فى الواقع ، مابنفكرش فى الواقع اللى المفروض نغيره ، ده أحد الحاجات الأساسية فى العقل الحديث ، ففيه جوانب كثيرة ، بس مش عايز أقول رأى وأقول المسألة معقدة شوية .

مجدى عبد المافظ: ملاحظة صغيرة . وجدت هناك خلطاً ما بين التحديث والحادثة البعض بيتكلم عن التحديث ويخلط بينه وبين الحادثة التحديث هو عملية التحديث الذاتى أود أن أؤكد على فى الواقع الفعلى لكن الحادثة هى مشروع مجتمعى مفتوح لتغيير العقلية وهذا ما لم يتم بكل تحديث من الممكن أن يؤدى إلى حادثة لكن كل حادثة نتيجة لعملية تحديث ناجحة.

فريدة النقاش: الفكرة اللى قالها الدكتور عاطف أحمد عن للثقافة والحضارة ، أنا أعتقد أننا نعيش كلنا فى ظل حضارة رأسمالية ، الحضارة الرأسمالية الصناعية وهذه ليست حكراً على الغرب ولم ينتجها وحده ، يعنى صحيح الاسهام الاساسى هو من الغرب ، لكن فيه منابع كثير جداً لهذه الحضارة وبالتالي من المشروع جداً أن نسميها بالحضارة الإنسانية التى اسهمت فيها شعوب كثيرة وهنا أختلف جذرياً مع فكرة

(الأصل والفرع) التي طرحها على مبروك لأن هذه الفكرة إذا امتدت على استقامتها ستنتفى أى قانون عام وسوف نصل بنا إلى الأصولية بطريقة سهلة جداً ، (النقطة الثانية وأرجو أن نتناقش فى ذلك حول القراءة النقدية للتراث والإسلام بشكل خاص ، أنا أظن أننا لن نخطو إلى الأمام خطوات حقيقية فى اتجاه القراءة التاريخية واستزراع مفاهيم نسبية فى نظرتنا للإسلام إلا إذا استطعنا أن نخوض معركة إقرار الحق فى التفكير من خارج الدين ، هذا الحق لم يقر بعد فى ثقافتنا إلا فى حنود ضيقة جداً ويخجل شديد ، وإذا شئنا أن نقول أن على المثقفين مهمات أساسية فى هذه المرحلة الصعبة من تاريخنا أنا فى اعتقادى أن هذه واحدة من أهم القضايا التى ينبغى على المثقفين أن يخوضوها لأن المعركة الأخرى ، وهى التأويل المستتير والقراءة التاريخية لا يمكن أن تتواصل بدون إقرار هذا الحق . النقطة الثالثة التى لاتزال معلقة فى ذهنى وأظن أنها معلقة فى النقاش هى مسألة حرق المراحل ، . لم نستطع أن ندلى بأفكار فى هذه القضية المهمة وهى قضية كبيرة جداً والكلمة الأخيرة تبقى للعفيف.

على مبروك: ملاحظة لى حول فكرة الأصل الفرع ، كانت هناك حادثة فى الغرب مؤسسة على الطبقتين البرجوازية الصناعية والبروليتارية الصناعية ولم تكن هناك حادثة فى العالم العربى لأن هاتين الطبقتين لم تنشأ البرجوازية الصناعية والبروليتاريا الصناعية ، ماذا يمكنك أن تقول عن الآلية التى أنتجت هذه الفكرة؟ الاشكالية هنا ليست أن على مبروك عندما يقرأ أى شئ بقولية ويجرده بحيث لم أعد أعمل إلا بهذه الطريقة وما الاشكالية بالفعل هى أوما إشكالية فى المنتج نفسه الذى تتعامل معه وتقاربه وما يتكشف لك إلا عن عقل يعمل بهذه الطريقة أكبر رؤوس داخل الثقافة الإسلامية ونحل العقل خلال النصوص من خلال ما أنتجه ، وما أنتجه هو جزء منه يعبر عنه ، فى تحليل هذه النصوص بما يتكشف لك إلا هذا التجريد الحاضر الذى فيه عندنا نمارس عمليات التجريد تلك فتصل إلى هذا أنا لست من أنصار هذه الفكرة ، أى فكرة الفكرة مش أننا أفكر بطريقة الأصل والفرع بغنا أبعد ما أكون عن هذه المسألة لكننى أخذ على العقل أنه

يفكر بهذه الطريقة إنه عندما يتصدى لمشكلة يبحث لها عن نظير يقيسها عليه لماذا ، لا أبدأ من المشكلة نفسها وأبنى لها نموذجاً معرفياً ، وأعمل شكل من أشكال المروحة لهذه المشكلة فى صناعتي للنموذج وأستفيد من كل ما يمكن ، من كل العناصر التي كونتني ثقافياً ، ومن بين العناصر التي كونتني ثقافياً ومنها الغريب بالتاكيد والتاكيد ، فلا أستطيع القول بأنني تشكلت في عزلة بعيداً عن الثقافة الغربية ، بالتاكيد الثقافة الغربية لعبت دوراً في تشكيل عقلي .. وأنا ضد تماماً أن تنتهي من هذه الفكرة إلى أن فيه خصوصية ثقافية نقية ضد تماماً هذا الكلام بالعكس أنا عاوز أجعل العقل عندما يفكر لا يقيس لا على القدماء ويقول أنهم الأصل ولا على المحدثين ويقول أنهم دول الأصل .. وأرجو أني أكون وضحت فكري.

العفيف الأخضر: إشكالية حقوق الإنسان هي أن الدول التي ترفعها تنتهكها ليل نهار ، هذا صحيح ، علينا أن نفهم الواقع في تعقده الآن توجد النظرية ، فيه شاعر مصرى كاتب كتاب اسمه التعمد التعقيد فعل خارجي ، عالم معقد جداً والآن هناك تاريخ العلم التكنولوجي ، والتقدم قوى الانتاج والتقدم الاجتماعي هذا لا يكون أوفر كثيراً. والآن بإمكان التحليل إن يسبق الواقع ، يتسارع التاريخ الذي هو في عصرنا يصبح التاريخ الذي يجري وراء الواقع ويصبح كما قال ماركس في البيان الشيوعي أن الحقائق تتلشى قبل أن يجف العبر الذي يكتب به إذ تسارع التاريخ ، الغرب ديمقراطي داخل حدوده ، وديكتاتوري خارج حدوده ، أمريكا الديمقراطية داخل حدودها ، ولكن سياستها الخارجية هي سياسة ديكتاتورية في الخارج ولكنها في داخل حدودها ديمقراطية ، الآن الغرب يقول أن الديمقراطية ماتت وأصبحت الديمقراطية هي لمتابعة استطلاعات الرأي العام ، ومحاكمة الافكار بممارساتها بالممارسة ، بانتهاكها في الممارسة ، نسعى لأى بديل ، هو أى علم من العلوم الإنسانية مثلاً كالتاريخ السوسيولوجيا والانثروبولوجيا .. لأنه لا توجد فكرة في العالم لم تنتهك ، البنية الفوقية هي بنية بإمكان الإنسان انتهاكها بل هي مجال التلاعب ، حسب موازين القوى بين الطبقات وبين الفئات وبين الدول ، فإذا قلنا أن حقوق

عمال الغد تقنيون ومهندسون

وعلماء لا عمال زراعة

الإنسان لا تصلح لنا لأن الغرب وضعها وبعدها استعمرنا بدون شك نسقط في أحضان الخصوصية ، نعود إلى تراثنا ، وإلى ديننا وإلى وإلى ونبقى حيث نحن ، في حين ان علينا ان ننتقل ، أن نتحرر من ماضينا الذي يريد أن يفرض علينا اجوبيته ، الذي يجب ان يفرض اجوبيته علينا هو حاضرننا ذاته أسئلتنا بقضية اساسية ، يعنى بدلا من ان نتخلص من هذه النقطة ونتقدم نحو الحداثة ونحو العصر قيد ذراع علينا أن نحاول بكل الصيل لكى ، لا يملأ ماضينا علينا أجوبيته التى كانت صالحة للماضى وعلينا ضمن رفضنا حقوق الإنسان إذا فعلنا أن نرفض كل العلوم الإنسانية ، ديمقراطية الغرب وعلم اجتماعه وفيزياء وأنثروبولوجية ، حسن حنفى قال نعمل فيزياء إسلامية.

هناك قضايا فكرية أساسية ، مثلا محمد عابد الجابري يقول: أن علم المستقبلات الغربى يحيلنا إلى حاضرننا ، إذا لا مستقبل لنا وعلينا أن نخلق أن ننشئ علماً مستقبلياً عربيا يعطينا الأمل ويحثنا على العمل ، والبحث عن المعرفة الموضوعية ببو هذا ، الموقف هذا يريد ان يسأل أن كان علم المستقبلات الغربى هو علم أم لا؟ فإن كان علما فعلينا أن نقبل حكمه صاغرين والذي يقول (علم) وهو ليس علماً بل يقول علم المستقبلات الغربى ليس علماً وبالتالي يصدر حكماً بالاعدام حول امكانية أن تتقدم للحضارة والحداثة .

وقيم الغرب هى حجة على الغرب وليس حجة علينا كما قال الإمام مالك ليس المسلمون حجة على الإسلام ، الإسلام حجة على جميعهم ، يعنى المسلمين ما مارسوا إسلام

الصحابة قط إلى الآن.

منى طلبية: أنت تضعنا بين حدى التطرف ، حدى نقيض ، إما أن نأخذ من الغرب حتى لو كانت ممارساته تنتهك حقوق الإنسان باستمرار وإما سنظل بعيدين عن التحديث ، إما وإما ، أن .

العفيف الأخضر: حقوق الإنسان هي موضع نقد كبير فى الغرب أولاً تقابل بالرفض المطلق من اليمين (لويان) أقصى اليمين ، فالقانون الفرنسى يسمح للمهاجر والأسود والأبيض أن يصبحوا فرنسيين وتستخدم حقوق الإنسان لتعميق حقوق الإنسان ، لتحويلها من حقوق إنسان للحريات شكلية إلى حقوق اقتصادية واجتماعية ، وهذا هو الجيل الثالث من حقوق الإنسان هو الجيل الاجتماعى لأن من حقوق الإنسان أن أكون حزب واكون جريدة حرة لكن ما فيه أيضا حقوق اجتماعية ، وهنا النقد موجه للديمقراطية ذاتها ، فى الغرب الديمقراطية سبقت حقوق إنسان فى فرنسا ٤٥٪ يشاركون فى الانتخابات نيكسون كان يقول إذا وصل عدد الممتنعين عن التصويت إلى ٧٠٪ سيكون نظام فاشى فى أمريكا وتقوم شيوعية تقوم ثورة شيوعية وهذا ما هو حاصل الآن يقولون لماذا الاستتكار لأنها أى الديمقراطية لم تقدم للطبقات المسحوقة أى انجاز حقيقى ماذا يفعلون يذهبون إلى السباحة إلى البيت ولكن لا التصويت يعنى الديمقراطية بصدد فقدان شرعيتها لأنها لم تطور نفسها لتصبح ديمقراطية اجتماعية اضافة إلى ديمقراطية سياسية ، أثار نقطة مهمة جداً الجرح الذى يعنى اللقاء الصدامى بين الشرق والغرب ، الجرح الاهانة حولنا إلى ثارين نحن نريد حركة نسترد بها شرفنا نريد وقفة عز ولهذا هناك الآن أصوات الحرب والحرب ، هي مشروع شارون يريد حرباً مع العرب فقط أساسا لكي يسقط الملكة الاردنية ويكون فيها وطن فلسطينى بديلا عن فلسطين ونحن برغبتنا فى الثأر ذلك الجرح القديم المتكرر حين هزمنا نابليون والاستعمار ، واخيرا هزمنا اليهود الذين هم فى المخيال العربى أولاد خنازير ، يعنى جميع الصفات المرنولة ملصقة بهم ، ممكن تهزمنا الامريكان لكن اليهود لا!.

منى طلبه: هذه صورة اليهود فى الثقافة الغربية مش فى الثقافة العربية.

العفيف الأخضر: اليهود عند أمى قالت إنهم جيفة وسيدنا على قتل كل رجالهم و نساؤهم فسمحولهم أن يناموا مع رجالهم الموتى وبالتالى أمى تقول كل يهودى رائحة فمه نتته لانه جيفة ، نور المثقف هو التحليل الموضوعى للواقع لا للتقبيح أو التجميل ، نحن أصبحنا إما أن نقبح وإما أن نجمل دون أن نحلل تحليلًا موضوعيًا للواقع هو الذى بإمكانه أن يقدم معرفة موضوعية قد تكون خاطئة ولكن معرفة موضوعية لأن الحقيقة العلمية هى خطأ وقع تصحيحه يعنى لابد أن يخطئ فى إطار معرفى لكى نتمكن من إصلاح خطئنا فى إطار معرفى ايضا . هشام جعيط يعتبر مؤرخاً عالمياً له كتاب اسمه الفتنة جدد به الدراسات التاريخية للإسلام فى العالم أجمع ، فى الأيام الأخيرة عمل حديث مع جريدة وقال على العرب أن يخاربوا اسرائيل إذا لم يخاربوها هذه المرة فقد انتهينا ، هو ليس جنرالاً ، ولا هو رئيسى لمعهد استراتيجى ، هو مؤرخ من حقه أن يقول أى كلام وليس من حقه أن يصدر قراراً ، على العرب أن يخاربوا ، قد تقع كارثة أكثر مما وقع فعلاً وقد تحارب وتنتصر أنا مش عارف ، لست رجل استراتيجيا .. لكن ما هو شائع الآن أننا نريد أن نأخذ ثارنا .

هناك كلمة قالها عاطف مهم ايضا التفريق بين الحضارة والثقافة وهنا نأتى مرة أخرى إلى لب حقوق الإنسان ، الحضارة كل واحد وتوجد ثقافات شتى ، الحضارة مرتبطة بالعلم والتكنولوجيا والعلم والتكنولوجيا معايير كونية ليس ممكناً أن أصنع سيارة بطريقة أخرى فى مكان آخر أو طائرة ولا إيجاد القوانين الفيزيائية بطريقة أخرى فى مكان آخر لكن ممكن أن يكون الدين مختلفا والثقافة مختلفة واللغة هذه هى الثقافة ثقافات الشرق يعنى ثقافات خصوصية والحضارة كونية وما هو كونى فى حقوق الإنسان أن المساواة بين الجنسين هنا لا يرتابها أى عقل سليم فى أى مكان المساواة بين جميع المواطنين فى الحقوق والواجبات يقبلها أى عقل إنسانى سليم فى أى مكان كان، حق الفرد فى اختيار قيمه ، يعنى نجد أن حقوق الإنسان هى حقوق إنسانية وعقلانية وهى

فى الحقيقة خلاصة لجميع الحضارات والثقافات السابقة التى تفاعلت . بشكل جميل ولكنها لم توجد بشكل متماسك ومكتمل إلا فى الحضارة الحديثة نسميها غربية لأنها فى الغرب ولكن فى الحقيقة لا توجد حضارة خالصة ، الحضارة القديمة التى قامت عليها جميع الحضارات بينها الحضارة اليونانية كان هناك تلاقحاً مع بين الحضارة المصرية والحضارة الاغريقية ، والحضارة العربية كانت تلاقح الحضارة اليونانية والحضارة المصرية (فى القرآن الذى هو منطلق الحضارة العربية الاسلامية قدم المصريون اشتقت ماهو أساس فى الإسلام لأن المقدسات القديمة لاتدرس البعث ، الإسلام فى القرآن أخذ يوم الحساب حرفياً من كتاب الموتى ، الذى لا وجود له فى الكتاب المقدس ، السؤال الذى أسأله دائماً : كيف استطاع أن يأخذ مباشرة من الديانة المصرية هذا موضوع آخر إذن حقوق الإنسان هى تتدمج فى الكونى وليس فى الخصوصى .

(لقد كتبت مقالا بعد ١١ سبتمبر مباشرة: أمريكا الديمقراطية داخل حدودها والديكتاتورية خارج حدودها ولذلك جاءها الارهاب ، وقلت ليست بإمكان أمريكا أن نقضى على الإرهابيين وهى ترمى بالديكتاتورية خارج حدودها وهى تكيل بمكيالين فى الصراع العربى الإسرائيلى والمقال ترجم إلى الإيطالية والفرنسية ولغات أخرى اتفقت مع فريدة فى حضارة واحدة وتتدخل فريدة الأخير بشكل، نقطة أساسية التى يساعدنا عليها حقوق الإنسان وهى التى تكبلنا الآن لم يقع التقدم العلمى فى الغرب إلا بعد الفصل بين الدين والبحث العلمى والابداع الأدبى والفنى فهل كان على نجيب محفوظ قبل أن يكتب رواية ولاد هارتنا أن يستشير الشيخ الغزالي أو شيخ الأزهر ، هذا قضاء على الإبداع ، شيخ الأزهر أرسل رسالة ممنوع الخوض فى موضوع التطرف، يعنى بالنسبة لنا نص أساس فى حقوق الإنسان هو الفصل بين الدين والبحث الأدبى والعلمى والابداع الأدبى والفنى ، نقطة حاسمة وأساسية وأيضاً نحن لا نستطيع أن نحدث أنا نقيم تحديثاً عن شخصى الأمن داخل التراث فى كتاباتى أنا أحدث فى التراث ولكن هذا تيار هامشى ويؤثر على مجموعات هامشية ولكن النخبة ككل لا يمكن التحديث إلا داخل التراث أبن قتيبة قال لو افترضوا فى الشاعر أن يكون مسلماً وتقياً فالشاعر أبو نواس أجمل الشعراء .. يعنى اقضاء الإبداع الفنى عن الدين .



سَعْدِي يُوسُف

الدَّمُ فِي الشُّوَارِعِ

الديوان
الصغير

اختارها وقدم لها
أشرف أبو اليزيد

في جنوب العراق بمدينة البصرة كان ميلاد سعدي يوسف في العام ١٩٣٤، ومثلت طفولته بقرية متاخمة لمحل ميلاده بصورها الريفية نبع الذاكرة الشعرية الأولى التي طالما استندعها في قصائده. ومنذ مارس سعدي الشعر، كتب له أن يكون ابن قضاياه الانسانية التي طالها التحول عقدا بعد عقد وإن استقرت جميعا على طلب الحرية، ليس لبلده فحسب بل لأوطان العرب جميعا ولكل الشعوب الخاضعة للاستعمار والاستبداد.

يلتقط سعدي حتى يومنا هذا وهو الذي يدفيء لندن بحرارة قصائده ويسيل ضبابها بكاء على مهاجرين ماتوا في شاحنة أو مقاتلين راحوا تحت سطوة الدبابات في غفلة من الكرامة، يلتقط اليومي والبسيط والمعتاد، ليعيد انشاءه وانشاده بموسيقى لا تعترف سوى بقوانينها التي تتفاعل فتنتظم أو تهوي بعيدا عن جدل النثري وصخب التفعليل الذي شغل به الشعراء عن الشعر.

في القصائد المختارة (وغيرها مما لم نستطع ايراده لظروف المساحة) يعبر بنا نصف القرن زما ونصف قارات العالم مكانا لنجد سعدي الذي نعرفه: يتذكر أصدقاءه ومواطنيه ومعظمهم غيبهم المنفى أو القبر أو السجن لكنهم جميعا كانوا مثل أبطال الأساطير عشاقا للوطن.

وهكذا بين البصرة وبغداد ومن بيروت إلى تونس وعدن، مرورا بالجزائر ووصولاً إلى لندن، كان السندباد العاشق يحمل في قلبه وطنه، ويحرص في كل مشاريعه الشعرية والثقافية أن يحقق له هذا التواجد. يقول سعدي بعد أن انضم إلى صفوف المقاومة الفلسطينية في بيروت:

إن انتمائي إلى الحركة الثورية العربية جنبني الضياع، والحق إنني هنا أعني الثورة الفلسطينية بشكل خاص. فقد وجدت فيها ما يظل إضاءة وكرامة وتوازنا، فلسطين ما تزال البؤرة الأكثر ملموسية في لوحة حركة التحرر الوطني العربية... وعندما دخلت المسألة الفلسطينية وضعها المأساوي، وعندما لم تعد الكتابة عنها وعن ويلاتها مجدا، أحسست بمسئولية إزاءها. كان التقني بالفارس الذي لا يقهر هو السائد لكن الحديث عن المناضل المحاصر قليل الاغراء، لذا كان توجهي نحو الكتابة عن وضعية المقاومة الفلسطينية.

هكذا هو سعدي يوسف الشاعر والكاتب والروائي والمترجم والمناضل الذي صدر قرار في ١٩٥٧ باعتقاله لأنه شارك في محفل شعري خارج العراق بدون إذن! ولم يعد سعدي للعراق حتى قيام ثورة ١٩٥٨ ويواصل مسيرته الشعرية. لكن السجن يستقبله (بسبب تحضيره لمؤتمر عالمي للشبيبة) وينتقل بين سجون نقرة المسلمين ويعقوبة والبصرة وتمثل رحلته فيها جانباً لا يزال يلقي بظلاله على قصائده.

الدم في الشوارع



من يغسل الدم في الشوارع؟
 من يغسل الدم في الشوارع؟
 هذا الدم الأثلي .. من يلقي عليه اليوم ستره
 من يسرق الشهداء حفرة؟
 ومعاولا سرية الرجفات، معمة، وحمرة
 مخضرة، وعقيق خضرة؟
 من يغسل الدم في الشوارع ...
 أيها المطر؟
 فاهطل على الأسفلت، اهطل ... أيها المطر
 ولتنهمر أقسى من الطلقات تنهمر
 هذا دمي العاري على الخشبات ينحدر
 ويظل عبر الريح، والطرقات، والأبواب، ينحدر
 هذا الدم - الظفر
 وكزهرة وحشية ...
 يوماً سينفجر.

البصرة في ٥ أبريل ١٩٩١

ليل الحمراء

شمعة في الطريق الطويل
 شمعة في نعاس البيوت
 شمعة للدكاكين المذعورة
 شمعة للمخابز



شمعة للصحافي يختض في مكتب فارغ
 شمعة للمقاتل
 شمعة للطبيبة عند الأسرة
 شمعة للجريح
 شمعة للكلام الصريح
 شمعة للسلام
 شمعة للفنادق تكتظ بالهاريين
 شمعة للمغني
 شمعة للمذيعين في مخبأ
 شمعة لزجاجة ماء
 شمعة للهواء
 شمعة لحبيبين في شقة عارية
 شمعة للسماة التي أظبقت
 شمعة للبداية
 شمعة للنهاية
 شمعة لشمعة للقرار الأخير
 شمعة للضمير
 شمعة في يدي

حصار بيروت ١٩٨٢

الوطن الصغير

وليكن
 إن أغانيها عتيقة
 كلها تسعى وراء الجوع، سوداء ، مخيفة
 يا محمد !
 إنها الأرض التي نحيا عليها
 ونموت
 والتي ما زال من أجدادنا فيها بيوت

أرضنا الرطبة حيث الأكم
والجداول
حيث لا تأكل أزهار السنابل
فلمن نحن نقني
أعرفنا غيرها؟
أولم ناكل جذور العشب فيها؟
كم قطفنا زهرها..
وغسلنا تمرها..
أو ما كانت على وجه أبي لمة من لونها
إنه مات وعيناه عليها
إنه مات عليها
مثل طير متعب عاد إليها

وطني
أيتها الأرض الصغيرة
أنت يا بحر النخيل
لك يا أرضي أصلي
وأقاتل

البصرة ١٩٥٦

انتهايات

تركنا على رملة بين وهران والمغرب البربري
برانسنا، وارتحلنا إلى زمن لاذ بالخيال،
الطيور ترافقنا، والسفينة تندي من المطر
المتدافع والموج ، هذا الصباح الأخير ، وهذا الصنوبرة المستقيمة، أغطية
النوم منثورة في مخادع من ودعونا، وفي غرة الفندق الساحلي تمهد أغطية
لعشيقين. وهران تهبط ببيضاء زرقاء خضراء للبحر، طير وحيد يرافقتنا،
وصنوبرة ومحار،

نسافر ... أم ننثني نحن في زمن لاثذ بالنخيل؟ بلادي التسي بين وهران
والمغرب البريري:
لماذا تركت السفينة في ليلة الأربعاء؟
انتظرنا ارتباكات أصدافنا إذ تجينين محلوقة الشعر. نحن انتظرنا ارتباكات
أقدامنا في حبال السلاالم، والسقطة المستحبة في الماء. ليل يطوقنا
ورصاص. بلادي التي بين وهران والمغرب البريري:
سمعنا الرياح البعيدة بين نخيل الطفولة مرهفة بالأغاني، ولكننا ما سمعنا
أناشيد أصدافنا. جانب سمع من لا يرى في الظلام.. السفينة تهتز، وهران
حاضرة، ونخيل الطفول تنصل ألوانه في موانئ مقرورة.
يختفي في فراش المحارب سيف قديم ..
وهران حاضرة
والنخل وريقات مكتبة
والسفينة تهتز
تهتز
تهتز
بين الرياح القديمة....

الجزائر ٥ يناير ١٩٧٦

مقاهي سعدي يوسف

يا أنت، العابر كل دوائر هذي العتمة، دائرة دائرة، لتطوق عنقي كالانثوطة،
من مسد وحرير حيننا، من فخر وتهاول جداريات حيننا، من اهداب خيطت
احيانا، يا أرضا كانت ماء، يا ماء كان الأرض. هنا ترتفع الصلوات نشيدا
باسمك، او تنفرع الفلوات.. احبيك، واحبيك، واسألك الغفران اليوم، واسألك
النسيان غدا. ستمر الدبابات علي سافيك مجلجة في كتمان من سرفات
طين، وسيمتد رقيم (تشويه شمس ثابتة) من رمل الفاو واوراق الحناء الي
الصخر المقدود ربيا وطرائد من آشور. انا أسألك المغفرة، الهداة.. شكلت
جبنيني بالوشم، وعلقت ذراعي اليسري بالكلاّب، وقلت: أحملك الآن دمي. مل
كنت صغيرا لتكون كبيرا. انت الاسم الأول والمونل.

انت عدوي مذ كنت، صديقي مذ كنت.. ستأتي اسراب الطيران الحربي
مجلجلة تحت سماء من صهد.. سيكون هواؤك محتقنا بالبارود ومختنقا،
لكنك تبحث عني، انا، اسمك، كي تقتلني. الدبابات تبدد جلدك، والطيران
الحربي يمزق اهدابك، لكنك ملدوغا تتبعني كي تسلخ اجفاني، وتمزق
اضلاعي كي تأكل قلبي. لست الآن الطير المرموق عصائب.. لست النسر
القادم من حمير، لست الهدهد، لست حمامة نوح، لست الرخ.. فمن أين
أتاك اللون الميت هذا؟ من أين أتتك القصباء لتبريها صعدة راحم؟ أنت هنا
اللحظة. تغفل عما ترسمه سرفات الدبابات، وتغفل عما يمحوه الطيران
الحربي، ولا تغفل عني.. فلتهدأ، أرجوك! اهدأ، واتركني اتمرغ في غصص
الاحلام، اتركني اتمرق قصص الاعوام.. انا ابنك، صنوك، حامل اختامك في
جيب الصدر، وعنوانك حين تغيب طويلا.. لا! لا تبتلع الدبابات كما تبتلع
الملح، ولا تمسح بالسيف الطيران الحربي.. وانصت لي في ضجة هذا
الوادي الهامد: هل تسمع شيئا؟ هل تهجس ما يفعله النمل هنا تحت جذور
النخل؟ هل الماء يسيل من الصخرة؟ يقطر.. يقطر.. يقطر.. قلت لك:
اسمعي! ذاك دمي يتقطر في الهدأة.. نبضي هو ما يفعله النمل حثيثا تحت
جذور النخل..
اسمعي!

مقهى على باب الزبير ..

تقابل المقهى من الجهة اليمين، الشرفة الخشب التي جاءت من الهند
البعيدة. واليسار يضم مكتبة ودكانا لبيع الخردوات.
وانت حين تكون في المقهى ستشرب شايك المألوف، ثم تقوم مبتهجا،
لتدخل غرفة البليارد:

طاولة

وعشب أخضر

وكرات ألوان..

ستلقي نظرة عجلي، وتمضي نحو زاوية

تراقب...

انت لا تستعجل الاشياء

والناس الذين رأيتهم في غرفة البليارد لا يستعجلون،
وسوف يدخل آخرون الغرفة..
الساعات تمضي
والهواء الرطب يدخل في القميص ويستقر حرارة منقوعة في الصدر.
انت تراقب:

المتفرجون تكاثروا في غرفة البليارد
لكن الذين تقاسموا كل العصي تبادلوا الأدوار
ظلوا، وحدهم، في لعبة البليارد يقاتلون
كرة هنا حمراء.
أخري بعدها سوداء
واحدة تلاحقها العصي، وحيدة بيضاء..
كان اللاعبون يداولون عصيهم وكراتهم
لاهين عما تفعل الأشياء
لاهين عن متفرجين رأوا في لعبة البليارد لعبتهم،
وان شئت الحقيقة قال أربعة من الشبان همسا:
غرفة البليارد ليست تكتة...

... ..

... ..

... ..

ما أغرب المقهى على باب الزبير !

تحيا الحرية!

قُبعت من سامراء. البر، المطوي كقنبلة في النسيان، يفوح قليلا. هذي
جفنتي ونذوري. سنبيت الليلة في الصحن. وفي منتصف الليل نراوغ ذاك
القيم كي نهبط في البئر. الليل نحاس. سترن خطانا بين النجم وقلب الأرض،
سنهتف: تحيا الحرية! ثم ندلي حبلا ونلوذ به حتي نلمس قاع البئر.. النسوة
جنن هنا من كل ضواحي بغداد، النسوة بالاسود والوشم الفيروز واغنية
الموتي، والنسوة جنن بصحن من عظم الطير ولحم القمح، النسوة يدعونك
يا غائب... يا ساكن رضوي، يا مطعمنا عسلا وفراتا.

سنبيت الليلة في الصحن، فلا تطردنا من ملكوتك، لا تتركنا لذئاب البر،
يتامي نحن، ضعاف، وذوو اطفال، فارحمنا يا ساكن رضوي، اغمض عينيك
الجوهريتين، ودعنا نهبط في البئر. ستعرف من رائحة الحبل الجوت منازل
حيرتنا. لسنا سفهاء، واعيننا سملت منذ قرون في حرب ظالمة، عبر قري
ظالمة. لن نحلم حتى بندي كفيك. فنحن خرجنا من اجداث، كي ندخل اجداثا.
لا اكفان لنا، لا صلوات. لا آس ولا سدر ولا كافور. مباركة طلعك، اسمعنا
يا سبط.. هنا، في قاع البئر ستسمعنا. هل تعلم، يا سبط، بأن قنابل بي ٥٢،
وقذائف مدفعا الهاوتزر، ذرتنا في الريح غبارا من لحم وعظام؟ هل تعلم، يا
سبط، بأننا كنا جوعي وعراة حين قتلنا؟ هل تعلم، يا سبط، بأننا حين ظمئنا
اوردنا بنزينا ثم رمينا برصاص يشعلنا؟ تحيا الحرية! في الفاو شربنا
الغازات السامة حتي ذابت اعيننا كالشحمة في القيق، وفي كردستان اكلنا
لحم الاكراد علي السبخ. اذا، نحن وحوش الكون، بقايا اللهب المتدافع من
جوف التنين، ضباع الغابات المنسية في كتب بالدة.. هل تسمعنا يا سبط؟
وهل تأذن للذئب بأن يغدو حملا في لحظة ايمان؟ هل تأخذ منا انفسنا؟ انا،
يا سبط، التوابون: وانا، يا سبط، الكذابون. فهل تأخذ يا ساكن رضوي،
اليوم، بأيدينا؟ هل تمنحنا نفحة روض ورضا؟
كم كان عراق الوهم جميلا!
تحيا الحرية!
حبل الجوت تدلي
والاشوطة محكمة
والبئر يساوي نصف المتر..
سلاما!

مقهى على شط العرب ..

مقهى علي شط العرب ..
قد كنت ذوبت المرارة في فمي متمطقا بالشاي..
كان النهر أبيض
ثم اشرعة، ولمح من نوارس لا تطيق البحر
(رامبو قال...)
كان النهر أبيض
والنخيل هو الذي نلقاه في اللوحات حسب،

أتحسب الدنيا مضبوغة؟

أريد اليوم ان أحصي الدقائق:

تحت كالبتيوسية جلست فتاة فجأة. في البعد يمرق زورق، والقطعة
السوداء تخمش جذع صفصاف تهذل شعرة في الماء. كان البار
عبر الشارع الكورنيش أعلن نوره. بخارة (جاؤوا من النرويج؟)
يفتحون ليلتهم. تهل الهند بالسمبوسك. السفن الثلاث
لشرق أفريقية ارتعشت قليلا. كانت الامواج تلو. أين نذهب
في المساء المائل؟ الشاي الذي اهتمته مازال منتظرا. وعبر الضفة
الاخري اري سيارة. شفتي تدغدغي. تكون الشمس لصقي. المس
الكرسي. نور في الهواء يشيع. بعد غد سيحملني القطار الي محطات
وراء النهر. موسكو ربما..

.....
مقهى علي شط العرب ..

كانت تماثيل الجنود (وأقرأ: الضباط) تصطف. الوجوه قبيحة.
واشارة الأيدي الي ايران أبيض. وحده، يذر، تسورة مزابل
يومه العادي. لن تأتي الحمايم كي تحط، ولو لتذرق، فوق لمتة
الخفيفة. سوف تأتي الطائرات. وسوف تنقض الصواريخ البعيدة
بفئة في هداة الجند. تلك الساعة الدقاقة السوداء (جاء بها
الينا أرمني) سوف تلو في الهواء (كانها من صنع سلفادور دالي)
.... لم تعد في بصرة البصري أروقة، ولم تعد القناطر (وهي
من جذع النخيل) صراطنا نحو السماء. الليل منقض.. سنسكن
في مقابرنا. أليس اليوم أجمل؟ غننا يا قاطع الأوتار، غن..
الليل مشتعل بنيران القيامة، والضفاف مليئة بمسابيح الألغام،
والأسماك صارت تأكل اللحم المدود مثلنا.
غن، المقاهي أغلقت أبوابها ...
غن!

غريبان

الليل ببغداد يجيء سريعا. الليل ببغداد يقيم طويلا. منذ قرون
والليل ببغداد يجيء سريعا ويقيم طويلا. سيقول الحدادون
سئمنا العيش، صناعتنا السيف، وصنعنا الضعف.

يقول النجارون سئمتنا العيش، صناعتنا التابوت. يقول الحداؤون سئمتنا العيش، صناعتنا جزمات الجيش. يقول الشعراء سئمتنا العيش، صناعتنا أصباغ الوجه. يقول أطباء المستشفى نحن سئمتنا العيش، صناعتنا ان نصلم أذانا او نجدع (مثل زمان الحجاج) أنوفا. ويقول الحلاج: ثري، هل صار الحلاج الناس جميعا؟

قمر يتناول. والنجم تضاعل. أين منازل وادي الذهب؟ الخيل مطهمة، والناس سواسية، والحجر الأسود في البحرين. كأن سماء من قصدير تطبق. يا أخبار الصحف الأولى، يا أشجار السبي، ويا أرضة النفى... الليل ببغداد يجيء سريعا. أسرع من صاروخ قيامتنا، أسرع حتى من صاعقة الرؤيا. أحيانا نتذكر أننا بشر، أن لنا، كالحبوان، عيوبنا.. أن لنا اطارفا يتحرك أيضا. نحن بلا أسماء.. لماذا تُرخين صفانرك الأبنوس علي زندي؟ ولماذا يتمشي زندك هذا العاج علي شفتي؟ لماذا ترتعشين؟ اللذة ترتعشين؟

انا اغمضت العينين وأعطيتك اجنحتي. سنسافر.. قلبي ان الناس يعيشون علي القارات القمرية كالناس. وقولي ان لديهم أروقة وحدائق.. سوف تهدهدني كلماتك حتي الموت. الموجة تتلو الموجة.

كان بدجلة بيت الساحرة. الضفة العالية اصطفت بالماء الأحمر. سوف نشيد عاصمة، ونمد جسورا. لكن اللوحة تهتز..

اللوحة وهي علي الحائط تهتز، ونسقط منها. أنت. أنا. نسقط منها. ها نحن غريبان هنا، ها نحن فقيران هنا. يُرعدنا البرد، وينهشنا الجوع، ويهتكنا الجرب الضاري مثل كلاب البدو. سلاما يا أرض الثمر الأول يا أرض الطين المعجون بالهة.. يا نبع الريحان سلاما...

مقهى على البحر

مقهى لـ سيدوري على البحر:
السفائن ألقت المرساة فجراً، وهي تنتظر المساء ليلتقي
البحارة الحكماء تحت سقيفة المقهى. وسيدوري تهيئ منذ
أزمان، موائد، وتمشط شعرها، وتحاور المرأة..
في الأفق البعيد سلام ترتقي وأخرة..
ستتبت، بقة، صفصافة..
قصب السقيفة كان مضفورا ومؤثقا..
زلاية سقيفة ذلك المقهى..
وخمر في الجرار
وفي الجفنان يرغو، حرّة، جعة الشعير
وقجاة، نادى المنادي:
اين سيدوري؟
وعاد الصوت يطفو كالثوارس:
اين سيدوري؟
وسيدوري تهيئ منذ أزمان، موائد، وتمشط شعرها،
وتحاور المرأة..
سيدوري، ستجلس، في المساء، الكون
سوف تكون ربه
وساقية تجالس أهله، البحارة الحكماء
سوف تقول سيدوري نبوءتها
وتعلن صوتها
أعلى من الصفصافة الأولى
وأعلى من سلام ذلك الأفق البعيد...
وسوف يجلس حولها البحارة الحكماء
في أسماهم
وعلى جدالهم بروق البحر، والملح...
.....
.....
السفائن سوف تعلق مرة أخرى...

لندن في ١٠ أبريل ٢٠٠٢

ندعوكم للكتابة في المحاور القادمة لمجلتكم

أدب ونقد

مفهوم الأمة بين الدين والقومية

الاسلام النقدي

ثقافة التحرر الوطني

مفهوم الالتزام في الأدب والسياسة

الرواية العربية الجديدة

ترسل المساهمات على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني
(منشوران بالمجلة)

في الأعداد القادمة من أدب ونقد

محمد ذكروب

رجاء النقاش

عزة بدر

عبير سلامة

رضا البهات

محمد كمال

أشرف الصباغ

محمد عبد العظيم

أيمن بكر

عبد الرزاق الربيعي



يدها الصغيرة

امان عبد الحميد

" لم تزل أمى رغم مرور كل هذه السنوات تدمع عيناها كلما تذكرت ، يتشح وجهها بالحزن .. وتبقى تقاوم دموعها تملأ عينيها . لكنها أبداً لاتسقط " .

.. كان يكبرنى ثلاثة من الأخوة ، وكنت أنا ثم هى .. وكان الفارق بين عمرينا سنوات قليلة ، جعلتنى أكون مسئولاً يوماً عنها ، كم كنت أضيع بتعلق يدها الصغيرة بذيل جلبابى عندما أذهب لشراء أى شئ ، فتجئ أمى على صوتها وتلومنى وربما تعاقبنى عقاباً مناسباً ، وتظهر ابتسامتها الصغيرة يوماً عندما تعاود الإمساك بجلبابى مرة أخرى ..

وكم كان يروقها منظر بلباتى الملونة ، عندما أرتبها بجانب بعضها ، استعداداً

للتباهى بها بين أولاد الجيران ، وكانت هذه البلى لاتفارقنى أبداً ، احتفظ بها فى كيس بلاستيكي شفاف فى قاع حقيبتى القماشية وسط كتيبى مع أغطية الزجاجات الفارغة التى قمت بتسوية أطرافها لتصبح هى الأخرى كنزاً آخر .. أظهره عند احتدام المنافسة ..

ولم أكن لأدع أشياءى هذه تفارقنى إمعانا فى الحرص ، فأتنا أبداً لأمن يدها الصغيرة العابثة . وكان تحررى منها أمراً صعباً تماماً ، حتى عندما كنت أنهب للمدرسة صباحاً أو للكتاب فى المساء ، كانت تتبغنى مرردة فى رجاء هامس " أروح معاك " بالطبع كنت أزجرها وأمرها بالعودة ، فتضع يدها الصغيرة على عينيها وتبدأ فى مسح ماعلق بهما من دموع .

كانت الطريقة الوحيدة للانتقام منها ومن كل مضايقاتها هى عرائسها القماشية المضحكة التى تصنعها لها أُمى من بقايا القطن . وقصاصات الأقمشة المتبقية ، فتحشوها بهذه القصاصات وتنف القطن ، فتفتتح ويبى وجهها مستطيلاً وكذلك يداها وجسدها ، وربما تثبت فى أعلى رأسها خيوماً سوداء تجعلها شعرها ، أما ملامح الوجه المستطيل فقلم أخى الملون كان يتكفل برسمها ، وكانت هى تعشق تلك العرائس وتجعلها كلها تنام بجوارها ، ليصبح الفراش الذى نتقاسمه أنا وهى أكثر ضيقاً ، لذا فقد كان يحدث كثيراً أن تظهر بعض هذه العرائس ملقاة على سطح دارنا ، أو بجانب الفرن محترقة وربما غارقة فى الجوض الذى تشرب فيه بهائمنا . ورغم بكائها الشديد على عرائسها، واحمرار عينيها ووجهها الصغير جداً الذى اغرقه دموعها الكثيرة ، كانت بيدها تلك تريت على كتفى مرردة " معلش" .. وذلك عندما كنت أنال عدة ضربات من جريدة النخل التى تحتفظ بها أُمى فوق دولا ب ملايسنا العالى .

وربما مازاد حنقى عليها وضيقى منها ، أنها كانت تحتل - دائماً - حجر أُمى

الرحب ، تجلس فوق وروده الحمراء والزرقاء محتضنة عرائسها والتي لاتكف أبداً عن هدهدتها .. تجلس بجانب أمى أمام القرن ترقب عرائس العجين التي صنعتها بيديها الصغيرتين .. وكـم كنت أتوق كثيراً لإحتواء العجين بين أصابعى ، كى أصنع فارساً فوق حصانه ، ربما أو أصنع وجهاً أرسم ملامحه بعود من القش ، لكن هذا أبداً لم يكن مسموحاً لأحد غيرها .. هى فقط .. ربما لذلك كله ، عندما بدأ وجهها الصغير يكتسب شحوباً وعرقاً، ويدها التى طالما استوقفتنى صغرها ونعومتها .. لم تعد تتعلق بذيل جلبابى بالقوة الكافية ، وتركت فراشنا لى وحدى لترقد بجانب أمى وأبى على سريرهما النحاسى العالى الذى طالما أصدر أصواتاً صاخبة فاضحة لنا كلما اعتلناه ، شعرت عندها فقط أنه الآن صار باستطاعتى أن أفعل كل ماكنت أريده فعلاً بنون أن تتعلق فى جلبابى .. أستطيع أن أتسلق شجرة التوت الضخمة التى لم أستطع أبداً أن أشارك أولاد القرية فى تسلقها والعودة من عندها بصفيحة ممتلئة بحبات التوت المدهشة.

أستطيع أن أحمل سنادتى التى صنعتها بنفسى وأن أذهب إلى التربة الكبيرة واصطاد كيفما أشاء .

ومنذ رقدتها تلك لم أعد أراها كثيراً .. فأمى حرصت على أن تمنعنا من ذلك حتى لانصاب بالعدوى .. لكننى كنت أتسلل إليها عندما تذهب أمى لإطعام الدجاج، فأضع عرائسها بجانبها كى ماتحيطها بيدها الضعيفة ، وأجلس بجانبها أريها بلياتى وأسمح لها للمرة الأولى أن تضمها بقبضتها ، وتتحسس ملمس زجاجها البارد.

.. مع مرور الأيام ، شحب وجه أمى تماماً ، وصارت تواصل عملها داخل الدار وخارجها لكنها أبداً لاتبتسم ، فقط لاتكف عن جلب الماء البارد لتضعه فوق الجبين الصغير الذى يزداد سخونة . لم أتوقف يوماً عن التسلل لحجرتها رغم

تحذيرات أمى لى ، والتي هدأت بمرور الأيام ، فصرت ألزم فراشها وقد تخلّيت عن شجرة التوت وسنارتى خاصة عندما بدأت يدها الصغيرة تقلت بلباتى الملونة ، وعيناها التى صارت مغمضة معظم الوقت . قلت لها أننى سأكف عن مضايقتها ومضايقة عرائسها المستطيلة الوجه إذا شفيت من الحمى ، لكن يبدو أنها لم تسمعنى . أو أن هذا لم يكن كافياً ، لذا فقد صحت بأعلى صوتى فى الدار بأئنى أيضاً سأعطيها كل مجموعتى الثمينة من البلى وأغطية الزجاجات وربما أصحبها أيضاً إلى الكتاب .. فقط إذا عادت تقبض بيدها الصغيرة على جلبابى .. يومها بكت أمى كثيراً ، وفى نفس الليلة أرسلتنى لتلك المرأة التى تقع دارها فى آخر القرية ، والتي جاءت وصنعت عروساً صغيرة من الورق . وأخذت تنتمى وفى تصنع ثقباً جديدة فى العروسة الورقية ثم أحرقتها وخرجت مبتسمة داعية . ربما مر يوم أو يومان ، بعدها امتلأت دارنا بنساء كثيرات ، أثنى الآن كم كانت سوداء ملبسهن ..

.. وعندما حاولت التسلل إلى غرفتها منعتنى أمى وضمتنى برفق إلى صدرها وحجرتها الذى صار بلا ورود تماماً ، فيبدو أن أختى التى كان كل شئ فيها صغيراً بشكل مدهش ، كانت غاضبة منى بشدة .. لذا فقد قررت أن تذهب وحدها إلى الله.

طيور بلا أجنحة

عمرو جودة

ثبت البندقية على كتفه ، صوبها نحوها ، كتم نفسه - كما علموه - ثم ضغط ..
اللعنة .. طارت مرة أخرى " ، حلقت لأعلى ، مزقت بجناحيها سكون الأصيل ثم -
وعلى نفس الفصن - حطت مرة أخرى " هذه فرصتي الأخيرة " ، ثبت البندقية
على كتفه ، صوبها نحوها ، كتم نفسه فجأة ، ضغطت يد خشنة على كتفه .
التفت مذعوراً - لحها بطرف عينه ترفرف مذعورة هي الأخرى - صار معهما
وصوته الجهورى يتردد داخله مزلزلاً وجدانه " خنوه " ، استبان من لهجته أنهما
أقل منه رتبة . كانا يقوداه فى صمت متحجر ، لم يستطع أن يميز من وجههما أى
عاطفة . إدرك أنه لا يشعر بقدميه . كان لأول مرة يدخل قسم شرطة . وصل لباب
الحجز تردد فى الدخول . كانت الرهبة تغل قدميه .. جاءت صفعه قوية من الخلف
قنفته فى وسط الحجرة انطلق الباب . ساد الظلام الغرفة . انزوى فى أحد
الأركان جالسا القرفصاء ينهته بغير دموع " البكاء ليس للرجال " . اقترب منه

أحد النزلاء سألته :

- ماذا فعلت يا بني

لم يجب .. أخرج لفافة وأشعلها . لمع وجهه الملى بالندبات.

- سيجارة ؟

لم يرد . قال بخبث.

- هل سرقت .

صرخ بكبرياء "لا" قال يطمئننه " لايبس من وجهك أنك لص " تخلى عن صمته قائلاً

- هل أنت قاتل؟

قال بمكر مضاعف .

- نعم .. هل تخافني؟

- ليس أكثر منهم.

- كم عمرك؟

- ثمانى سنوات.

- ألسنت صغيراً على...

قطع حديثهما صرير الباب أخذوا منه الطلقات. ثم تركوه ويعد وهلة سمع صوت

بندقيته .. مع كل طلقة كان يشعر أنها موجّهة نحوه . فجأة - ومع صوت آخر

طلقة - صرخ وارتدى على الأرض فاقدًا وعيه . ولما أفاق تحسس جسده باحثاً

عن موضع الإصابة.

وقف بجانب والده يرتعد ينظر إلى وجهه الممتلى بذعر.

- اطمئن يا حاج .. ابنك ليس متهما.

- لماذا هو هنا إذن ؟



- أردنا فقط مساعدته في صيد هذه
- ثم اخرج من جراب يمامة ميتة .. صاح باكيا
- قتلتها إذن ؟
- إلم تكن تريد هذا ؟
- لا .. فقط أردت استعارة جناحيها.
- سأله ساخرا : لماذا؟
- لأطير بهما .. أو لأرسمهما.
- نظر إلى والده ساخرا :
- يبدو أننا سنقبض عليه بتهمة الجنون.
- خرج وهواء الريف البارد يلفح وجهه ، لمح كروان طائرا يغرد ، أطلق ليديه الحرية
- كى يرفرف بهما وهو يركض وراءه مقلدا صوته.

شعر



فعلٌ يومي

عماد غزالي

تشوّهت ملاحضة
ليصير لوحة للمفاتيح .

لم يفارقه الحلم بعد ،
وهو يخطو ويبدأ إلى باحة الأربعين
حيث الوجه أكثر وقارا
والحكمة
مجزأة مام راكد .

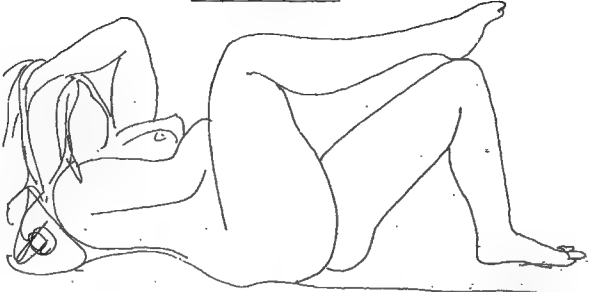
سيفعلها يوما
تكون له كل يوم حكاية
ولو عجز الآن
فالرغبة في الحكي ،
تزداد إلحاحًا .. كلما تقدّم .

دالما كان يفكر ..
لو تصبح الكتابة فعلا يوميا
بحاجة هو إلى ذلك
حاجته إلى حياة يومية فعلا .

ما الذي سيؤرقه لو حدث ؟
وهل الصائد الماهر
من يصيد سمكة كبيرة
أم من يلقي إلى البحر
بصنيده الفاسد ؟

لجئته الأيام حقا
حينما استلّت حرارة الحروف
من قلم

شعر



فاطمة ناعوت

فروض فوضوية

فاطمة ناعوت

لافتش في لغاترك
عن شخبطات تحمل ملامحي.

ماذا لو
تلاقت عيوننا
في قاعة محاضرة تاريخ العمارة،
ثم تقافزنا فوق الدرج
يوم تخرجنا.
ماذا لو

علمتني القصيدة
قبل أن يقر الخليل من مخبرتي.
لو فاجأتني بثوب أبيض
قبل أن أدخل المحراب.

ماذا
لو لم نلتق أبداً !

ماذا لو
تجاورتنا فوق كراسي المدرسة
أو تقاطعت حدودي
مع شبك الفصل
في صورة بلا ألوان !
الشباك الذي
يبارك هروبنا
إلى ملعب الكنيسة
لنللم أوراق التوت في نيسان
نطعم اليرقات النالمة
في صندوق الحذاء
ذي الغطاء المثقوب.
نتغاضب
من سيجاور النافذة
في الباص الأزرق
ثم نخطئ الحقائق

شعر

مقاطع من قصيدة

لا مكان له

محمد الحمامصي

* أتخيلك تقولين ذلك ،

وتفضضين علي الصداقة التي ترغب في التحول

إلى حب

فجأة ..

فيما تضربني رأسي

وتدخل الطاولة كمنشار إلى جسدي

تقسمني نصفين

للأعلى خفوت الضوء في زاوية المقهى

و للأسفل الأرض من تحته ..

تتبادل وجوه الرواد /

المارة الأكثر بعد

الإشارات

وتلح في الدهشة.

أسأل الوقت الذي جئت منه

هل كان تشودي أقل من أن يثقل قلبك ،

أم أن شهوتي خجلت

من أن تميل نحوك ،

ورأت أن لا مكان لها

في حب تتجرد فيه الأعضاء من طبيعتها

لتحلم فقط ؟

هل عشت عمري هذا خائفا

من أن يقول جسدي شيئا

عن أعضاء تقتتل ،

غرفة يتأكل أثاثها ،

وماء يتناسل قططا وكلاها ؟

أسأل

هل نضجت متأخرا

أم أن نمي المتخثر

أضمر ما وصلت إليه يدها من نوافذ ؟

أسأل

لإد أنني نسيت شيئا

قد يكون بطني مثلا

وهي تقنات وهم الشبع

تخترن الغبار ..

أو ظهري

وهو يستند علي هشيم من الوقت

وهو مغمور في الفراغ

بانتظار نزول حائط.

أسألك

وقدمك تتحازن للخروج

علي

علي المقهى

وتواصل فقدي ..

...

* يستقبل نسيانه برحابة صدر

الذي يسير الآن

رأسه بمحاذاة قسيه ..

...

* يحلم ببحر

يهرب إليه ما طلق من دمه

بشمس شطعم عظام كفه

شرًا جديدا

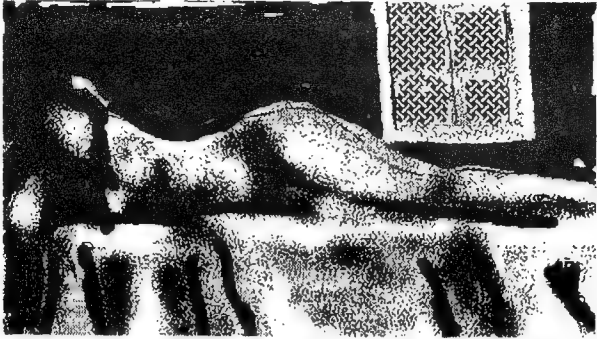
بطرقات لا ترى لخطواته

إذ تقترح

ضحية أخرى

وعبروا قصيرا إلي النسيان.

...



الذين لا يرثون من الأرض

محمود عبد الرحيم

تعودُ إلى الشتاتِ

من الشتاتِ

وأبقى هنا

أنا الذي لم أمنحها جسدي وظناً،

مهداً

لستريح قليلاً من ترحالٍ لا ينتهي

وانتظارٍ ما لا يجي أبداً

أبداً

(١)

وتعود كما جاءت

زهرة شتائيةٌ

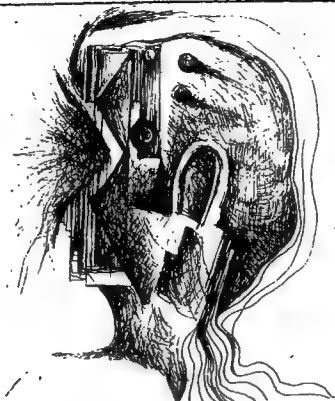
مهنومةٌ من جديد

تقر من مصيرها عبثاً

بعدما ينست من تلونه

بأى لونٍ آخر

غير لوني المنافي والحداد



(٢)

في الوصلِ كان خلاصتنا

في البوحِ كان شقاؤنا

ولم نك ندري

سخرنا من العرافة العجوزِ

...ضحكنا

لم نصدق نبوتها

فأبطلينا وضعنا

أنت في بابلَ

تروين نخلها بدموع الصبراتِ

وأنا في طيبة

مسنى الضربُ ، ورجمتُ باللعناتِ

(٣)

تمتد المسافاتُ

ما بيننا وبين روحينا

تتبدد التفاصيل

تتمحى كل معاني الأشياء

في صحراء الانتظار القاحلة

ننهزم أمام مصائرنا الممعة في القمع

بين البحر والنارِ حوصرنا

إن تقدمنا غرقنا

إن تقهقرنا حرقتنا

حقيقة نحن

أم خرافة

أم مرثية للهامشين

الذين لا يرثون من الأرضِ

سوى الوجع

وتاريخاً ممحواً

كان قد كُتب بالدم.

شعر

على وشك أن أحبك جاكلين سلام

وأرويه لنفسى
ولأطفال لا يسرقون
أسرق لك من الحكايا ،
قبعة على بابا وعصا موسى
ومفتاح الفردوس المفقود

أسافر محموما بك
وأنتكر لأسمك ثلاثا ،
وقبل صياح الديك
لا لشيء ، الا لأحبيك
لا لشيء ،

إلا لأكون لك الراعي والمرعى
وتكونين لي الأم ، الطفلة ،
الحبيبة ، المشيقة ... وأختي
تشدني لفتي من أذن المسافات
الآن ،

لأشهد ، لالهى الذي ينكرني أيضا
لأسميك : معصيتي
لأسميك :

الفصل الخامس من سفر الرهيل
هامسا في أحشاء ليك
أيتها الحياة
أيتها السندياتة
أيتها ال ...

كنت ... كنت ... كنت ،
كنت على وشك أن أحبك .

الشاهق من قلائك التي لم تنحن
المتبقي من دموع الرمان بين شفقتك
المسحوق من نبضك البري على قميص ليلى الأعرس

الشرس من فخاخ أبتسامتك
المقيم من ملائكة قتلى على كتف غابتك
المتروك من ضعفك الأثثوي

الناضج أبيضا من شيخوخة صلواتك المبتكرة
الرهيف من ضوع الياسمين بين ثناياك
العابث من رقصك الأثري

الماني في ترصعات حجرك الأمومي
الجبان من تفاحات صمتك

الذابل من نسيجك المعلق على خاصرة النول
الشائع من ذاكرتك الكلاسيكية
المسافر من ألوانك ما بيني وبينى

المقلق من غيمك اللامتناهي
المشاكس من طفولتك المشردة على خدر أورلقى
والكلبي الذي لا ألقه علته

يوقظنى الساعة ، فجرا
ومتأخرا جدا

يوقظ برقا في طمي أصابعي
فينتبه الحرف
يسيل الحرف ...

يرشني إلى
كي أحتويك ، وأهجر ...
أهجر بك مرة أخرى

وأخرى
وأخرى

أولف عنك آلاف الحكايا



المعاناة .. قبل عناق الألم

قراءة فى نصوص من الإسماعيلية

د. رمضان بسطاويسى محمد

هذه قراءة لنصوص من الإسماعيلية لدى ابنين من أبنائها ، وهما محمد عيسى وعبد الحميد البسيونى ، وهما من أبرز الأصوات الأدبية اللذان قدما إنجازا أدبيا ، الأول قد رحل عن عالمنا بموت دال على الألم الذى تملك صاحبه وعبر عنه فى القصائد الأخيرة التى كتبها قبل أن يدخل عن عالمنا ، وكأنه كان قد اختار الموت واكتسب معه صداقة يفسر به ما يحدث له ، وما يحدث حوله من أحداث يومية للبشر والناس والمجتمع المصرى وهو يحاول الحياة ويحاول الكتابة وسط هذه الشروط الضمنية بالحياة والتى تدفع إلى الموت ، لم تعطه بسمة أطفاله مبررا للحياة والدفاع عنها. فقد اختار الموت راضيا حيث شعر أن الشروط الحياتية أقوى منه ، والجميع من حوله فى غفلة ، لأننا فى زمن كل إنسان مشغول بذاته ،

وحين قابلته فى السنة الأخيرة من حياته ، أردت أن نستعيد زماننا القديم وعمرنا الذى تكسرت أحلامه ، شعرت بالموت يطل من عينيه ويضفى على رأسه هالة من الوقار والهيبة ، شعرت أنها هيبة الموت ، حاولت أن أنفـس فيه محبة الحياة وأشد الرغبة فيها ، لكن شعرت أنني قد قابلته متأخرا فقد لحقه الموت قبل منى ، شعرت أن صمته يقول أن صرخاتى فى العالم لم تجد ، فكم صرخت ولكن العالم لم يسمعنى ، حاولت أن أعد له أسباب الحياة لكن بدون فائدة ، رغم أن ماطرحة كان بداخلى أنا الذى قد صارت الاكتئاب فترات طويلة من عمرى يسبقنى محمد عيسى إلى الموت ، كان الحزن يعتصرنى وأنا أتأمل محاولته المستحيلة للحياة ، وهو يضع أسلحته جانبا ، كان الحزن والحلم والمحبة هم أنواته للحياة والتعايش مع الألم الذى ينهش كل شئ ... كنا نتفاهم من النظرة ، ونقول بها مالم نقله ، ورغم ابتعاده كان قريبا من وجدانى وعقلى ، وأحمل ضميره معى ، ونشعر مع هذا الموت بالعار لأننا جميعا تركناه وحيدا يكافح ظروفه الصعبة والكل يتفرج ، والكل يبرر لنفسه أنه يعانى أيضا ، ولكن هناك فرقا بين معاناة ومعاناة ، معاناة التبرير ، ومعاناة قبول الموت واليأس من الحياة ، ولا يمكن التظاهر من الألم لفراقه بأى كتابة ، وكل مايمكن قوله أن الكتابة عنه هى استحضار وتأمل لتجربته فى الكتابة التى كانت بوحا بالألم وتعبيرا عنه ، صحيح أن قلبه كان معلقا حتى آخر لحظة بهوم أسرته والعالم من حوله ، لكنه ماذا يفعل وهو المعطاء صارت يده خالية الوفاض ، كانت حياته مرتبطة بالعباءة وحين صار عاجزا بفعل شروط الحياة عن العطاء اختار الموت.

وعبد الحميد البسيونى هو جزء من ذاكرة الحياة ومحاولات تعلم الكتابة وقراءة العالم ، والتواصل معه من خلال أشكال بسيطة ومسابقات للكتابة الأدبية ، وكنا نفرح بكل إنجاز صغير يعطينا مشروعية الكتابة فى ظل شروط اجتماعية ،

والولادة فى طبقة اجتماعية ترى الكتابة ترفاً لا يلىق بمن لم تتوفر له شروط الحياة ، حين أتأمل مسيرته قبل أن يقبع فى الاسماعيلية أتأمل مسيرتي أيضا ، وأرى أن حياتنا لم تضع هباء إلى حد ما ، وأنه يكفيننا شرف المحاولة لتقديم بعض من أفكارنا .. تجارب حياتنا على الورق ومن خلال مسيرة حياة مع الصحاب والبشر والناس ، كانت لقاءتنا قليلة لكنها تعيد كل منا إلى نفسه مرة أخرى.

عناق الألم

قراءة فى المجموعة القصصية " محطات للحنن " للقاص محمد عيسى كيف يمكن الحديث عن تجربة محمد عيسى القصصية دون أن تكون تكرارا لما سبق أن كتبته عن هذا الصديق ؟ ، فى الحقيقة أن الكتابة عن محمد عيسى هى إعادة بناء لتجربة عشتها معه أثناء مرحلة ما من العمر الذى التقينا فيه معاً ، والتى كتب فيها مجموعة محطات للحنن والتى سبق نشرها من قبل على نفقة محمد عيسى والتى أعادت ثقافة الإسماعيلية طبعها ، وكنت أتمنى أن ترفق بها تعريفاً عن محمد عيسى وتجربته الأدبية ، ولأن الكتاب يخلو من أية إشارة إلى أعماله السابقة ودوره فى الحياة الثقافية فى الإسماعيلية حيث كان أحد المشاركين فى مؤتمر الإسماعيلية الأدبى ، على أية حال ، إن معاودة الكتابة عن محمد عيسى هى قراءة أخرى تساعدنا على إعادة فهم ما استغلقت من تجربته وصمته الذى يبوح بما لا ينطق به ، صحيح أن جلال الموت وهيبته يقفان بيننا وبينه ، وليكن هو الجسر الذى نعبر عليه لنفهم ونقرأ ونتأمل.

كانت هذه المقدمة ضرورية قبل الحديث عن محمد عيسى ، لأن القراءة النقدية هى تفاعل مع النص وإعادة بناء له من خلال علاقة يقيمها القارئ / الناقد مع النص .. وهذا النص محطات للحنن يبين لنا جنور همومه ورؤاه ، ويمكن أن يساعدنا فى الاجابة عن سؤال هل تغيرت رؤاه فى أعماله التى تلت هذا العمل أم أن هناك

امتداداً لتلك الرؤية فى أعماله اللاحقة ؟ ، ويمكن لمن يقرأ أعماله مكتملة من أن يدرك أن هناك سمات متشابهة بين مجموعته القصصية تلك وأعماله الأخرى مثل - الحرص على تصوير الذات المفترية التى تعاني انفصالا عن العالم الذى تعيش فيه .

- المزج بين الأسطورى والواقعى.

- الحضور الدال للشوارع ويشترك فى هذا مع أمل دنقل فى سفر ألف دال.

- رؤية العالم من منظور ذات وحيدة.

- عدم الاحتفاء بالحكاية فى القصة إلا القصة الشعبى .

- استخدام ضمير المتكلم فى السرد والمزج مع ضمير الغائب.

- الطابع الغنائى فى قصصه.

- حالة الشعرية التى تسيطر على قصصه

- بناء القصة التى تعتمد فى روايتها على السرد الشفاهى وليس البناء البصرى.

- الأماكن فى قصصه تدور بين القاهرة والإسماعيلية والسويس والجنوب.

- وحدة الزمن فى قصصه تعتمد على الزمان الخاص للفرد.

هذه بعض السمات التى تشترك فى أعماله القصصية وتبين خصوصيته ككاتب له رؤية يبين فيها الشعور بالتوحد والعجز عن التغلب على صعوبات التواصل مع الحياة والبشر فى ظل ظروف صعبة ، وذلك يعتبر الهم السياسى والاجتماعى يمثل بؤرة الرؤية لديه ويلى ذلك الهم الإنسانى ، وتعبّر كل نصوصه عن معاناة وعناق للألم الرهيب الذى لا يطاق ، ويفجر فى داخله ، ويعبر عنه فى أكثر من صورة ويحتل القسم الأعظم من موضوعاته القصصية ، فيقدمه فى صورة حادثة مروعة لا يلتفت إليها أحد ، وهذا مانجده فى النص الأول " الحادث " من مجموعته القصصية محطات الحزن، حيث يحاول إيقاظ العسكرى النائم ليرى الحادث لكن

العسكري يواصل النوم ، كان يشير إلى حادث خاص لاقراه سوى تجربته العميقة لكن لم يستمع أحد إليه ، ولم يتواصل أحد مع حزنه الخاص الذى ينبع من خيبات الحياة ، فهو يشير إلى دم الحسين الذى يهرب راكبا الترولى باص ، وقد تكررت إشارته إلى الإمام الحسين فى أكثر من نص من نصوصه وهو يشير إليه كرمز للاستشهاد والبطولة فى آن واحد ، وهو يستخدم فى هذا النص بناء القصص من منظور واحد يعكس رؤية القاص والدخول مباشرة إلى عالمه القصصى ، يظهر فى الحوار فى هذه القصة مدى التباعد بين الذات والعالم على نحو يعمق من الهوية التى تفصل بينهما ؛ فالشخصية الرئيسية تحاول الحديث مع الفسكى ومع سائق الترولى باص ، ومع الراكب ، لكن بلا جدوى فتتروى الذات وحيدة تعبت بحبات اللب ويقايا سيجارة فى جيب الراوى .

وفى النص التالى: "أدهم الشرقاوى يدخل القاهرة" نجد قصا يتكون من مستويات عديدة ، واستطاع القاص أن يمزج بينها. وهذه المستويات هي:

- مستوى الوصف البصرى لعالم القصة بين عالم الحشاشين وهو عالم أثير لدى محمد عيسى كانه يرى أن الألم الذى يحدثه العالم فينا يحتاج إلى مخدر قوى يجعلنا قادرين على قراءة العالم وفهمه ، ذلك لأن كثيراً من النصوص لمحمد عيسى كتبت من منظور إنسان تسيطر عليه حالة من التخدير التى تجعله ينتقل بين العوالم المختلفة بحرية ، فينتقل بين المكون الداخلى للذات والعالم الخارجى ، وينتقل بين الذاكرة والواقع اليومي.

- مستوى المحايد للأذن التى تسمع مايدور حولها دون أن تشارك فيه كأنها آلة تسجيل تنقل مايدور حولها للقارئ ، وينقل لنا فى هذا النص ماترويه الشخصيات الذين يجلسون فى حلقة الحشيش من نكات وحوارات تعكس.

- السخرية من العالم عن طريق المفارقة بين المستوى الظاهر للواقع ومايخبئه من

تناقضات

- المزج بين الزمان الذاتى للشخصية والزمان الموضوعى ، وذلك من خلال المزج بين السرد والمونولوج الداخلى.

- حضور الرموز التاريخية فى الواقع مثل حضور الإمام الحسين وأدهم الشرقاوى الذى يعتبر بطلا شعبيا عانى من الخيانة..

- حرص الكاتب على التأكيد على تيمات معينة فى القص مثل المزج بين لعب الشطرنج مع صديق على مقهى فى التحرير وبين الأنوار التى يلعبها فى الحياة. ورغم قصر النص ، وهى سمة تميز معظم أعمال محمد عيسى ، استطاع أن يقدم كل ما يريد قوله فى حيز قصصى قصير يتميز به.

وفى النص التالى " هل الصرخة " يقدم لنا صورة قصصية لانتحال صوت مدرس يثور على القهر الاجتماعى المتمثل فى قتله للفتى الذى اغتصب فتاة لاحول لها ولاقة ، وهذا النص من القصص القليلة التى تسرد حكاية مكتملة ليست مستمدة من التراث الشعبى للمكان ، لأن محمد عيسى فى قصصه لايهتم بالخط الحكائى فى أعماله إلا إذا كان مستمدا من قصص المكان الذى أضفى عليها الزمن طابعا أسطوريا معاصرا مثل حنيفة المياه التى تعبر عن الفتاة التى خاب أملها فى الشاب الذى تحبه بعد أن سافر إلى بلاد الغربة ورجع ، وفى نص الصرخة مزج الكاتب بين لغة المشهد السينمائى وبين المذكرات الشخصية لمدرس التاريخ الذى جعل حادث الاغتصاب يخصه بشكل شخصى ، وقام بقتل الفتى المغرور والمستهتر.

وفى النص التالى " القتل فوق أطباق الأرز الأبيض " نجد نصا يعتمد فى بنائه على المفارقة اللغوية فنجده يتأثر بـ"بلغه القرآن الكريم ويربدها " "إنى أنست نارا" ، ويتحدث عن تلك النار أو البصيرة الداخلية التى يريد أن يلقاها فى مسيرة

الحياة اليومية لكنها كانت تستعصى على المجرى ، ويتوزع النص بين الحلم والواقع .. ، وهما العنصران اللذان نجدهما فى مجمل أعمال محمد عيسى ، ونجد أن الذات لاتقبل المفارقة والتناقض بينهما فينبغ الألم ثمنا غاليا وفادحا لعدم قبول هذا التناقض ، وأعتقد أن من لايقبل بهذا التناقض بين الوعى والواقع يقبل الموت ، ولهذا نجده فى قصيدته الأخيرة التى نشرها فى الأسبوع العربى قد أدرك أنه لاسبيل إلى إيجاد هذه الصيغة التى تجمع بين الحلم والواقع ، وبين الوعى ومايدور من حوله من أحداث إلا عن طريق اختيار الموت ، والقصة تعبر عن هذه المفارقة من خلال اللغة ، كشف التعارض بين الزمان الذاتى والزمان الواقعى ، والأرز الأبيض يشير هنا إلى صورة الأم الناصعة البياض التى هجرها الراوى من زمن بعيد ، وكانت تمثل له البراءة الأولى فى رحلته عبر الحياة اليومية.

وفى نص " محطات للحنن " الذى يتخذهُ الكاتب عنوانا للمجموعة ، نجد الحزن هنا بمعنى فرط الوعى بالواقع المحيط ، فشخصياته تتبع مأساتها من الوعى وانفصالها عن الواقع والإصرار على رؤية الحلم الدفين متحققا فى الواقع ، فلو كانت مستسلمة ، أو غارقة فى تفاصيل اليومى ما شعرت بهذا الألم المروع الذى يحتاج كيائها الداخلى ويجعلها عاجزة عن كل شئ بما فيه الحب ، الذى يكون من المفترض أنه يعطى دفعة قوية لتجاوز عثرات الواقع ، لكن مايسميه محمد عيسى " الحزن " وأسفبه فرط الوعى هو ما يجعله مغتربا عن حوله حتى لو كانوا أقرب المقربين إليه ، وهذا النص محطات للحنن أشبه مايكون بقصيدة غنائية تجاوز الذات نفسها وتتأمل تجربتها فى العالم ، وأذكر حين قرأت هذا النص للمرة الأولى بكيت لأننى أدركت أن محمد عيسى دخل إلى الطريق الذى لن يستطيع الخروج منه إلا بثورة على حياته ، وثورة على كل شئ ، ولهذا يعتبر هذا النص رغم أنه ينتمى إلى مرحلة مبكرة من حياته إلا أنه يعتبر النص المركزى فى

حياته ، وكل أعماله الأخرى واللاحقة هي إعادة بناء لهذا النص وكتابته بأكثر من طريقة ، وكأنه دخل محطة الحزن ولم يخرج منها ، وأصبح يغنى كل ما فيها من تفاصيل ، وقبل وفاته انكشفت الرؤية أمامه فقال يلا نموت .

وفي نص " الريح تضيع كل الأشياء " صورة جميلة لمعنى التوحد ، فالذات تشعر بثقل الوحدة وتراقب العالم من حولها ولا تستطيع أن تخفى ما فيه من جمال ، لكن الوحدة والاغتراب وعدم الانتماء إلى مكان في هذا العالم جعل الذات تصبح مثل شارع طويل لا يمر عليه أحد رغم أنه ممهد جيدا والمصابيح مضاعة على جانبيه ، وصورة الشوارع التي تعبر عن الوحدة نجدها أيضا لدى أمل دنقل في سفر ألف دال وقد عبر الكاتب عن هذا بقوله : " والشارع الذي لاتكاد تلامس أرضه الإطارات ساعة الفجر جميل وضوء المصابيح يهوى من أعلى العواميد البيضاء إلى لاشئ غير الأسفلت الأسود الذي لايرد على لطعات الضوء بغير البريق يحاول أن يشب إلى أعلى " ص ٦١ وفي نص (" أغنية سوكا الأخيرة " وهو النص الأخير من المجموعة من حيث يقدم نمطا إنسانيا جسورا يحب الحياة ولايأبه لما يعترضه من صعوبات ، وهذا النموذج قد اختفى من أعماله اللاحقة وتنتهى المجموعة بأغنية هي الصورة المقابلة لما يدور فيها :

أحورسم الوردة من فوق سريري،

ألعب بالشمس وأقفز في العريات

أهدى الحبيبة الجسارة

أدخن

وأغنى

أغنية سوكا الأخيرة

وينتهى النص الذى يتكون من فقرات كانه فى نهاية المجموعة يجمع لنا كل

مفردات عوالمه القصصية المختلفة التى حرص على تقديمها فى أعماله ، تحية له فى عالم الحقيقة الذى يرقد فيه الآن وقد تخلص من همومنا الأرضية الضيقة التى تستولى علينا وتنسينا معنى الوجود وحقيقته.

رحيل وعودة النورس

قراءة فى مجموعة " أخطاء صغيرة " لعبد الحميد البسيونى

ينتمى عالم المجموعة القصصية إلى تجربة سابقة من مجمل الخبرات التى قدمها لنا فى أعماله الأدبية والتى حرص فيها على تصوير الذات المصرية وصراعاتها المختلفة من أجل صنع الحياة ، ودأب عبد الحميد البسيونى على التقاط اللحظات الحميمية من الحياة اليومية ، وتقديم نماذج إنسانية قادرة على تقديم رؤيته الجمالية للواقع المصرى وتحولاته المختلفة ، وتعدد شخوص القص لتكشف عن الزوايا المختلفة التى يريد القاص تقديمها لكى يقدم لنا صورة من الحياة ويبحث من خلال هذه المشاهد عن منفذ لإمكانية تحقيق الحلم ، والجديد فى هذه المجموعة أنها تنتقل من الوطن المكان الذى تكور فيه أغلب أعماله إلى قطر عربى آخر وهو العراق ، فمادامت الأرض - هنا - تقتل الحلم ، فلماذا لا يكون الحلم هناك أيضا ، ولكن نكتشف معه عبر المجموعة القصصية أن الحلم يقتل هناك أيضا ، وأن الرحيل إلى البلدة الأخرى وهى العراق كان حلما على مستوى الوعي ، لأن الواقع هناك له سمات مختلفة تهدم وتدمر ليس الحلم فحسب ولكن بنية الإنسان الداخلية أيضا.

وهناك كثير من الأعمال الإبداعية التى تناولت موضوع الهجرة إلى العراق وبلاد الخليج وانعكاسات هذا على الداخل نجد هذا لدى المنسى قنديل وعلاء الديب والعمري وإدريس على وقتحى امبابي وإبراهيم عبد المجيد ، وغير هؤلاء ممن اهتم

بالهجرة إلى داخل الذات والدخول إلى محارة الذات والانكفاء عليها ، فبعد انهيار المشروع القومي تحت مسميات مختلفة ، وماتبع ذلك من وجود انشطارات عميقة فى الجسم الاجتماعى للمجتمع المصرى ، ولذلك نجد بعد فترة الانفتاح قد أصبح الفرد مأزوماً ، وصار النزوح الاجتماعى إلى البلاد الأخرى هرباً أو يأساً من مواجهة الداخل ، ومن لم يستطع السفر اختار بين الموت أو الهجرة إلى داخل الذات ، وأصبح للهروب أشكاله المختلفة المقنعة أو الصريحة ، ولم يتم تناول هذه القضايا فى المجموعات القصصية بشكل مركز كما نجده فى هذه المجموعة عبر قصصها الخمسة عشر ، ولذلك يمكن القول أن هذه المجموعة تشترك مع الآمال الأدبية المصرية التى تناولت الموضوع ، وهى تضيف أنها ترى تجربة السفر ضمن اطار التحولات الاجتماعية التى تحدث فى المجتمع المصرى وتضعها كحلم وكموضوع للاختبار ، وتعرض لتجربة اصطدام الوعى المهاجر بأرض جديدة ، لها نسقها الخاص وملامحها البشرية والسياسية المختلفة ، وبحسب للكاتب أنه حريص كل الحرص على نقل تحولات التجربة الاجتماعية والسياسية.

تتكون المجموعة من خمسة عشر نصاً تنقل لنا عوالم مختلفة ، ويستخدم القاص تقنيات عديدة للتعبير عن رؤاه الجمالية ، ويتنوع أنواع السرد تبعاً للتجربة التى يقدمها لنا ، فتارة يعتمد على الوصف البصرى وتارة يركز على القصة التى تقدم نمطاً إنسانياً فريداً على النحو الذى نجده فى القصة الأولى : الأزهار تغير لونها ، حيث يقدم شخصية محمد الديبكى الذى يقدم للصيادين الشاى ، وهو لم يكن صيادا مثلهم ولكنه كان جندياً اخترقت شظية دماغه فى الحرب ، فصارت الكلمات لاتخرج من فمه سليمة ، فترك قريته ، فبنى عشة بجوار المياه التى يحبها ، وحين مر الأسطول السادس أمامه أندفع إلى الماء وغمرته طلقات النار التى انطلقت من السفن والبوارج الحربية ، وغمر الدم مياه القناة ، وقد نجح

الكاتب فى تقديم الشخصية بشكل مقنع وفيه قدر كبير من البساطة والسحر والتواصل مع القارئ ، وهى تؤكد موهبة القاص فى النقاط النماذج الانسانية التى تعبر بأكثر من مستوى عن التجربة التى يريد أن ينقلها القاص لنا . وفى نص " حالات " يقدم صورة جميلة لحالة الفرح بالحياة التى تنتاب مدرسة يفاجئها المطر وهى تداعب نجيل الحداثق ، ويرصدها القاص من أكثر من زاوية ليقرب أكثر من ملامحها ، وتتووع الضمائر التى يستخدمها الكاتب من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ليعود الراوى ليربط بين المقاطع الثلاثة للنص الذى يقدمه الكاتب .

وفى نص " الصحراء تغزو " يقدم مشهدا من مشاهد الحياة اليومية حين يتجاوز رجل وامرأة فى المقعد الأمامى لسيارة البيجو فى السفر من القاهرة إلى الاسماعيلية ، وينقل حالات الصمت الدال التى تنقل مشاعر كل منهما نحو الآخر ، واستطاع أن ينقل المفارقة بين الواقع والتخيل الذى يعمد دائما إلى إعادة بناء مشاهد الحياة اليومية والمواقف التى نعيشها تبعا لما نتخيله .

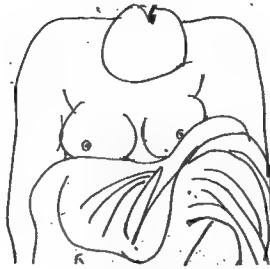
وفى نص: من المقام العراقى يقدم لنا حالة موسيقية تتصاعد نغماتها مع توالى أحداث القص ، وقد اعتمد الكاتب على تقسيم النص إلى مقاطع وعناوين جانبية وينقل لنا المناخ والطبيعة فى الناصرية " ذى قار " وتمتزج المشاهد بالخبرات الداخلية للذات التى تشاهد العالم الجديد من منظورها الخاص

وفى نص " وسام صغير لسيد " يقدم لنا حكاية السيدة المصرية التى استشهد زوجها فى ساحة القتال فى العراق ، وكيف بنت وحيدة رغم محاولات السلطات العراقية الاحتفاء بها ، وهى صورة أخرى للموت الذى واجه المصريين فى الغربية ، وقد صورها الكاتب بشكل يجعل المرء يتعاطف معها ومع تجربتها الفريدة التى مرت بها . -

وفى نص " بريد ووبرق وهاتف " يستكمل جوانب الصورة عن حياة المصريين فى العراق من خلال مشهد افتراض الحديقة ، والستترال حيث يحاول كل مصرى الاتصال بأسرته للأطمئنان عليهم ، ومشهد وصول المصريين إلى مطار بغداد والمفارقات الانسانية التى تحدث لهم وذلك من خلال ثلاثة عناوين جانبية هى «رسالتان ، عشق ليلي ، المصرى» ، وقد ساهمت تقنية القص تلك فى توصيل رؤية بأنورامية متسعة عن حالة المصريين فى العراق وصورة المعاناة اليومية التى لاقوها .

وفى نص " جرح النورس " يعود إلى النصوص التى تتبع من مصر ويصور حالة العجز التى انتابت الرجال الذين يعملون مع الراوى ، وهى صورة دالة لحالة العجز العام للمجتمع بعد التحولات التى مرت به .

وفى نص : " صمت القلب " نواجه الموت الذى يتكرر ذكره فى هذه المجموعة كأنه تيمة الحياة ، ونجد صورا له فى نص : " من النشيد الأخير للجد عبد. الدايم أفندى " وفى نص : " أخطاء صغيرة " وغيرها من نصوص الكتاب حيث يبرز الموت بأكثر من صورة . ونلاحظ أن آلية الكتابة التى لجأ إليها القاص هى التى شكلت رؤيته وجعلته يطرح النصوص على نحو متمايز ، فالقاسم المشترك بين هذه النصوص هو الراوى ، الذى قد يبدو محايدا وهو ليس كذلك ، لأنها تقرأ ذاتها فى الشخصيات الأخرى التى تعيش موقفها مثل محمد الديبكي ، المدرسة ، الميكانيكى الذى يموت على باب مكانه ، الزوجة التى يموت زوجها فى العراق ، فالراوى يقدم نفسه من خلال الشخصيات التى يركز عليها ، والانتقال بين هنا وهناك خلق حيوية داخل المجموعة القصصية ، وقد استفاد الكاتب من تكوين المشاهد البصرية فى حوار داخلى بين الذات والعالم الخارجى ، وتعتبر هذه المجموعة ممهدة لما تلتها من أعمال قصصية عكست تطوره من مرحلة إلى أخرى .



نعمات البحيري امرأة وحيدة فى العراق

عواد ناصر

تكتب الروائية المصرية نعمات البحيري تجربة فتاة عربية ساقتها عواطفها وربما أقدارها غير المنظورة للعيش فى العراق (من دون ذكر اسم البلاد الذى يدل عليه أكثر من رمز وطقس وسلوك) بعد أن تعرفت على " عائد حسون " الشاعر العراقي والصحفى فى مناسبة ثقافية جرت فى القاهرة أثناء الحرب العراقية الايرانية. تضعنا نعمات البحيري أمام كافكاوية عراقية وقد انتزعت لغتها من مستنقعات الطين والدماء لتتناهى بها عن سر الحزب الذى يضم أفراد شعب بكامله هذه اللغة رغم ما تتصدى له من أعراض الأمراض المستوطنة (الحرب والفاشية والخوف) وما تتورط فيه تلك الأجواء الملبدة بالغربة والحيرة والشك والحنين الا أن نعمات البحيري تعطى خطابها الروائى بشكل لافت وتمتلك القدرة على أن تنتشل لغتها

مما كاد أن يلحقها من لغة البيانات الحربية وأكاذيب الصحف المحلية . ولأنها كذلك فإن الرواية مساحة عربية نادرة لتبادل الحوار والبوح وتجليات الضمير ، ضمير الكتابة وهو يتجسد سبابة تشيز إلى القنلة وحنانا غامرا يسبغ على الضحايا حتى عائد الذى هو ضحية خوفه ونمطيته وازدواجيته العراقى الرومانسى فى أول أيام الحب - العدوانى بعد حفلات الكحول والوحشة والبكاء . أشجان وعائد .. الشجرة والفأس ..

تلقى أشجان الفتاة المصرية المتطلعة إلى الحب وبخول عالم الأدب بكل ثمارها الجمالية بعد أكثر من خيبة عاطفية فى سلة ذلك العراقى عائد ، وتعود معه إلى العراق " حين تزوجت عائد كنت أرغب فى جغرافيا وتاريخى اخرين لبشر هذه المساحة الممتدة بامتداد الحلم ، لتكتشف عالم الوحش والصمت والشيزوفرينيا العراقية وترى بالبصر والبصيرة أنها فى " مدينة الحزن والحر والحرب " .. حرب شديدة الكياسة تحترم فقط دقة مواعيد البشر مع الموت والمدن مع الخراب" .. تبدأ نعمات البحيرى من خاتمة البلوى فهاهى عند مطار بغداد هاربة من عائد ومن صواريخ الحرب بعد أن تركت على الكومدينو ورقة كتبت فيها " لاشى ينشأ من فراغ .. أقصد البعد .. وأنت لابد أن تفيق أو لا تجدنى وتبحث عنى كى تجدنى ولن تجدنى "

هربت أشجان إذن بعد محاولات عديدة لذلك النوع من الهرب العابر للقارات فى خرائط الأطلس ، " تماما مثل الحلم لذا قررت أن أظل أحلم هكذا إلى نهاية الطريق وربما إلى نهاية العالم "

تكتب نعمات البحيرى " ولينتى أقول تحكى بتلقائية مفردة حتى أن زمنها الروائى لا يكاد يتنمط ويسترسل بل يتقطع ويتكسر ويتلاشى أحيانا تماشيا مع الإيقاع الداخلى الذى تهجسه أشجان عبر وجودها وأحلامها وحيرتها أزاء حياة صلبة نمطية محروسة ب " الجيش الشعبى وسائر الأمة الواحدة ورسالتها الخالدة ..

تلقائية السرد إذا صحت التسمية مكفولة بحرارة الانتماء إلى التجربة والعيش إكراها فى بيئة خطيرة ، هذا النوع من الخطر الذى يؤجل ، أو ينحنى مسارات

عديدة فى النفس البشرية ليتم اختزالها لإراديا ، والاكتفاء بردة الفعل الوحيدة ،
والقصوى ، عند لحظات القسوة والرعب ، وهى العيش بسلام مع الذات والآخر
ولكن الكتابة كفعل واع مقصود يتولى نقد التجربة وتفكيك الاشتباك الحاد وتعقب
ردات الفعل وتحويلها الى موقف أو طريق للرؤية.

لم تتنازل لغة الرواية عن شرطها الفنى بل هى لغة تشف وتقسو وتتشاعر وتصف
وتعترف وفق منحنيات الأحداث والحالات الشعورية للشخصيات المنتقاة بعناية
فائقة تتيح تعميم الخاص وتخصيص العام فى بؤرة مشهد حاد القسمات طورا ،
كوجوه الجالدين وحراس المنعطفات الشعبية ، ورقيق الملامح لحظات التجلى
الإنسانى لوجوه أخرى من المحنة، كوجه الشاعر " أبو فرات " الراض للانضمام
إلى جوقة الشعراء المطبلين ، ووجه " شذى " جارة " أشجان " التى أخذت الحرب
زوجها بعد أيام معدودة من الزفاف ، فبقيت تنتظره كينلوب عراقية تغزل خيوط
الأمل وتفكها حتى عودة الذى لن يأتى ، أو وجه " ميسون فهد " الرسامة بلوحاتها
" ذات النساء اللاتى تطل من عيونهن الأسئلة والشوق والحنين الى حياة شاحبة
اللون تقتقد لعنى ما" ..

إن أشجان تلك الشجرة المصرية التى توهمت النمو والثمر بعيدا عن التربة الأم
لم تجد فى " عائد " سوى فأسا صدفنة تطيح بكل ضفائرها الخضراء ..

معادل الحرية والقمع

يتوازن المشهد بتلك الوجوه النبيلة كمقابل لعائد البعثى متجدد الوجوه ،
الكحولى ، الشيزوفرينى ، الخائف من كل شئ حتى من نفسه وقد تراكم شعوره
بالخطر ممن كل ماهو خارج ذاته ، أو خارج جذران بيته ، وانعكاس هذه
السوداوية المريرة على علاقته بزوجه أشجان التى لاتريد أن تخضع لإرادته وأن
ترى العالم من خلال زجاج سيارته أو عينيه ، فكثيرا ماقرر من دون هدى لتتلمس
المدينة وناسها وتتسمع نبضها بنفسها من دون وصاية من أحد حتى " عائد"
نفسه.

إن أشجان التى لاتستجيب إلا لشرط الحرية الداخلى الواضح والملح فى

شخصيتها هي المعادل الموضوعى لاشتراطات الحرب والقمع وأخلاق الحزب الواحد ومسلحي الجيش الشعبى والنياسات عائد مع نفسه وغيره " أشجان الصبورة الإنسانية المتجسدة على هيئة حوقف وسلوك شديد الرأفة بالضحايا ، سواء بالشخصيات المحورية التى ذكرناها أو تلك الضحايا المتبدية فى الشوارع والأسواق والمنعطفات ، على شكل نساء يتشحن بالسواد ، زوجات قتلى تسهر الروائية أو تغفو ، فتسميهم " شهداء " أو أسرى أو مغيبون أو مواطنون مصريون خدعتهم أوهاهم بجنة عربية اسمها العراق تتيح لهم تحقيق أحلام شخصية لاتتعدى قوت اليوم ومأوى الليل .. هؤلاء المصريون الذين يضيق بهم عائد ذرعا بل يكن لهم أشد أنواع الكراهية بشوفينية عراقية وجدت لها مرتعا خصبا فى عراق القادسية والموت والفاشية.

حتى اكسسوارات المكان توظفها نعمات البحري لتتناغم مع الحدث أو السياق السيكولوجى للشخصية ...

" بعد أن وضع الجرسون عصيز البرتقال على المائدة إلى جوار زهرة نصف ذابلة تقف وحدها فى أنية خزفية "

إنها عبارة دقيقة تختصر الكثير وتشير إلى امرأة وحيدة فى العراق لايسندها غير تلك القوة الروحية والقدرة على رؤية ما يحدث بصفاء ذهن حاد. تجد أشجان أن الوهم البشرى وحقيقة الواقع التحام يصعب الفصل فيه خصوصا فى بيئة مقفلة عليها ، لايتبدى منها أى مظهر حياتى طبيعى ومشروع ، ذلك حتى أعضاء الحزب الحاكم ليسوا بمنأى عن التهم وزوار الفجر ، والجو لايعبر عن نفسه إلا بالوشايات والعراك والالتهامات المتبادلة ، وأخطرها من يتهم صاحبه بأنه غمز من قناة الرئيس ، فقويبا الرئيس طوال الجميع من خلال الصور والجداريات التى يمكن أن تعترضك فى أماكن غير متوقعة ، مواخير البغاء وديورات المياه ، بتلك الأزياء التى تتطابق مع كل مناسبة أو موقع حكومى أو اجتماعى ، فعلى واجهة مشفى يرتدى الرئيس بدلة طبيب وعلى باب جامع " يصلى مسددا مؤخرته فى وجوهنا ، وصورة أخرى له وهو يسبح بمسبحة حياتها جماجم ورؤوس صغيرة

ذات عيون دامجة وأنوفة دامية ، وكان السيد الرئيس مبتسما ، يومها سألت "عائد" عن سر هذه الصور فأشار لقمي بما يعنى أن ثمة ضرورة حتمية لإحكام إغلاقه.

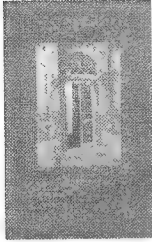
شهادة عربية

جريت أن أستبعد القراءة السياسية لهذه الرواية العذبة تحديدا لأى اجحاف قد يحصل بسبب ولع العراقيين بالبحث عما يؤكد أسباب ومبررات منقاهم وموتهم وغيايهم خصوصا فى أثر عربى روائى هو الأول من نوعه الذى يسمى الأشياء بأسمائها . منذ ابتلى العراقيون بحكم الوحوش المدرعين وحروبهم وأنفالهم وغازاتهم الكيماوية.

لكن مسافات التوتر والفزع التى تشد سطور الرواية تجعل من الصعب على قارئها الافلات من الشعور الجاد بوطأة القسوة والعذاب اليوميين التى تنقل جسد المرأة وتكسر ذلك الشعاع الوضى فى قلبها.

" أشجار قليلة عند المنحنى " شهادة عربية من خارج مراسيم السيادة الرسمية وبروتوكولات العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين .. وقد كتبتها نعمات البحرى بحس فنى راق لم تنكفى به دهاليز الموت والغيباء وانعدام اللغة الطبيعية بين الكائنات بل منحتة الفا خاصا من الصدق ، أملى بدوره تعبيرية وجدانية تملك القابلية على موازنة العسف بالحميمية والقسوة بالشفافية ، الأمر الذى جعلنا نتمتع برواية جميلة توفرت على عنصرى الابداع والتشويق رغم قسوة المادة الخام ووحشة المكان حيث يفتقد أهم ما يحيله إلى ركن قابل للحياة : الحب...

تقدم نعمات البحرى درسا عربيا فى ضرورة التصدى للأكثوية¹ وفضح تلك الفاشية العادية التى تنقل على صدور العراقيين ورقابهم وأصابعهم وتلك تيمة رئيسية من تيمات الرواية - الشهادة التى قدمتها هذه الروائية المخلصة لحقيقة نفسها ككاتبة قبل أى حقيقة أخرى ، وتضع الكاتب والقارئ العربى أمام مسئولياته إزاء ما يحدث لشعب شقيق..



طارق الطيب عندما تصير الذاكرة وطنًا

أحمد الشريف

طارق الطيب ، سودانى ، ولد لأبوين سودانيين ونشأ ودرس وعاش ربع قرن فى القاهرة قبل أن يسافر إلى أوروبا ، إذن هو سودانى النسب ، مصرى النشأة والتكوين . الطيب ، له ستة أعمال ، بينهم مسرحية بعنوان « الأسانسير » كتبها بالعامية المصرية ، مع ذلك فالشريان السودانى ، ينبض داخل الكاتب وأعماله ، روايته الأولى « مدن بلا نخل » تحكى عن « حمزة » ، الذى ترك قريته السودانية « ود النار » ، وانتقل إلى عدة مدن من أجل حياة أفضل .

لذا فكونه مصرىً سودانىاً ، فإن ذلك بلا شك يعطيه حساسية خاصة ، ويفتح له أفقاً واسعة للإبداع ، كما قال الكاتب الكبير ، الطيب صالح ، فى تقديمه

لمجموعة « الجمل لايقف خلف إشارة حمراء » ، يمكننا الآن الدخول إلى عالم طارق الطيب ، ولعل سمة الحنين من السمات التي تغلف أغلب أعماله . الحنين لبشر وأماكن وحكايات ، ترسبت في الأعماق منذ الطفولة وفترات التكوين الأولى ، تجلى ذلك الحنين بدرجات متفاوتة ، وصل ذروته في مجموعتي القصصيتين ، « الجمل لايقف خلف إشارة حمراء » ، و « انكروا محاسن » ، هناك شخصيات وأماكن ذكرت أكثر من مرة بتنوعات متعددة ، شخصيات « عم إسماعيل اللبان » و « أم علي » « عبد المالك » ، الأب ، الأم ، الأخوة والأقارب والأصدقاء ، وأماكن ومفردات بعينها ، الشارع والحارة والبيت والمدرسة والترعة والمقابر القديمة ، والنخلة وشجرة الليمون وقضبان القطار « مازلت أذكر هذه النخلة وهذا المكان » ص ١١٦ (قصة ، يجب أن يغادرونا ، م ، الجمل لايقف خلف إشارة حمراء) ، الحنين لبشر وأماكن ومفردات شديدة الخصوصية ، يجعلنا نتوقف عند دور الذاكرة في أعمال طارق الطيب « مأسهبل أن نعود بالذاكرة إلى سنين مضت ، وما أصعب أن نتحلل من حباتها نون حنين ممزوج بالأسى . أجهد نفسي في طرد ذكرياتي من عقلي وأتشبث بها في أن . هويتي ضاعت ، حائراً أقف في منتصف الطريق بل في نهاية الطريق ، أحمل رأساً مخضباً بالذكريات » ص ٦٣ ، (قصة ، طفو فوق الذكريات ، م ، الجمل لايقف ..) ، يمكن الاستشهاد بأكثر من فقرة ، تدشن نور الذاكرة ، مجموعة « انكروا محاسن » ، يحكي فيها الراوى عن رغبته في البوح والخلاص عن طريق استرجاع الحكايات ، فهو لن يرضى أن يموت بغير حكاية « حكاية لن تؤذى أحداً » ص ١١ ، حتى في كتابه « حقيبة مملوءة بحمام وهديل » - مع أن هذا الكتاب ينتمي لمرحلة جديدة - نجد عبارات عن الذاكرة التي تحمل لنا الماضي وتظهر لنا المصائب أخف ص ٣٣ ، لاشك أن الذاكرة لعبت دوراً كبيراً عند معظم الكتاب ، سيما

الذين تركوا بلادهم وهاجروا لأسباب شتى ، الذاكرة كانت فى كتاباتهم ، بمثابة -- ولن أقول بديلاً عن -- البيت والوطن فالذاكرة ، ذاكرة الكتابة تحديداً ، تعنى حماية البيت الأول والمكان الأول من خطر التلاشى والنسيان ، تعنى أيضاً ، القبض على كل كلمة وجملة وحكاية حدثت فى الوطن ، تبدو الذاكرة فى تلك الحالة ، كأنها حفر مستمر لاستخراج ماهو غائب وجعله حاضراً باستمرار ، الذاكرة وفق هذا التصور ، تعنى الهوية ، إضافة الى ما ذكرنا يمكننا رصد سمات أخرى فى أعمال الكاتب .

١- يقول الراوى فى رواية « مدن بلا نخيل » ، « إن له مع المقابر ألفه وحباً » ص ١٨ ، كما إنه يشعر بارتياح عميق لاكتشافه أشياء ثابتة لا تتغير فى الكون ، كما إنه يشعر بالتشتت والغربة عندما تجرى الأرض تحت قدميه ، هذا الحب للمقابر وذلك الشعور المريح باكتشاف أشياء ثابتة لا تتغير فى الكون ، فى بعد من أبعاده وكما ذكرنا سابقاً ، يعود للرغبة فى الحفاظ على المكان الأول ، وفى بعد ثان ، محاولة لعمل توازن داخل الإنسان ، كى يحمى نفسه من المتغيرات السريعة ومحو الهوية الذى يمكن أن يحدث ، بسبب الجرى خلف الجديد أو بسبب التراكمات الثقافية المختلفة عن الثقافة الأم .

٢- فى أعمال الكاتب ، إدانة واضحة للعنصرية والتعالى الأوربى ، بداية من « مدن بلا نخيل » ، يحكى الراوى عن « أدهم » الذى يعمل فى أحد أسواق الخضر والفواكه فى باريس ولاتقابله « مشكلات سوى مشكلات الأجانب والمضطهدين فى كل بقاع الأرض » ص ٦٣ ، وفى مجموعة « الجمل لا يقيف خلف إشارة حمراء » ، فيها أكثر من قصة أظهرت عنصرية البعض ، قصة « فى انتظار سارة » ، أحد شخصوها ، نادل مقهى ، يكره وجود الأجانب ليس فى المقهى فقط بل فى كل البلد ، وقصة « يجب أن يغادرونا » بها رجل أعمى يقول ، إن الأجانب هم السبب

فى المشاكل العديدة ، كذلك قصة « مجنونة » ، عندما ينسى الراوى نفسه ويتمتم ببعض كلمات ، خرجت منه دون أن يدرى وهو تحت ضغط نفسى شديد ، نجد أحدهم يقول له « عد إلى بلدك واشتم هناك كما تريد » ص ١٤٤ ، ربما خلاصة المشكلة ، قالتها « حكيمة » ، وهى شخصية الأم التى لاتعرف القراءة والكتابة فى مسرحية « الأسانسير » ، « يشتغلوا عندنا وياخذوا أحسن المرتبات وولادنا يشتغلوا عندهم مرمطونات » ص ٢٨ ، بالطبع هناك أبعاد وملاح أخرى لهذه المشكلة ، لكن ليس هذا المقال مجالاً لعرضها .

٣- توجد قصص ، عبارة عن لحظات إنسانية خالصة تذكرنا بالأبعاد الإنسانية فى قصص ، محمود الببوى ويوسف إدريس وعبد الحكيم قاسم ، قصص مثل « مساومة » (م ، الجمل لايقف ..) ، هذه القصة جيدة شكلاً وعمقاً ، شكلاً أو تكنيكاً ، لأن الكاتب قبل أن يدخل بنا إلى عالم الحدث الرئيسى ، قدم لنا توطئة للمساومة الكبيرة التى ستحدث ، هذه التوطئة تمثلت فى الطفل الغنى الذى يقدم الشيكولاته لطفل أفقر منه ، مقابل أن ينقل منه بعض الواجبات المدرسية ، ثم يصف الراوى ، المساومة الأكبر ، والتى تمت بين البائع ، شجى الصوت ، الذى يبدو عليه المرح والنشاط ، وبين امرأة جميلة ، فى تصويرى أن سرد أحداث القصة والبداية والنهاية لن يغنى عن قراءة القصة . لكن تجدر الإشارة إلى مهارة الكاتب وقدرته فى القبض على لحظات عميقة فى حياة البشر ، يضاف إلى هذا الاتجاه ، قصة « عم إسماعيل اللبان » (م ، انكروا محاسن) وقصة « أم على » و « ياعسس العقارب يا حصيرة » ، نفس المجموعة ، قصة « أم على » ، عن امرأة ، تحمل ابنها الكبير القعيد على ظهرها بعد الظهر ، وفى الصباح تحمل الماء إلى البيوت . قصة « ياعسس العقارب يا حصيرة » عن الطفل « نور » ، الذى أصيب بالفرغرينا ويتروا زراعه . هذه القصص وغيرها ، رحلة للإمساك بالمشاعر الدقيقة

الحزينة والنبيلة ، فى حياة الإنسان .

٤- بين ثنايا القصص ، حس فتنازى ساخر ، مثلاً ، الجمل الذى حين وصل إلى الخيمة ضحك م (الجمل لايقف ...) ، والجمل الذى يهمس فى أذن مهرة ، قصة « مداخل خروج » م (اذكروا محاسن) ، أو امرأة جميلة يرضع من ثديها ضبع ، كما فى (حقيبة مملوءة بحمام وهديل) الكتابة بلافتنازيا ، تصبح وصفاً مملأً ، الحس الفتنازى قريب ومرتببط بالنفس ، أى فعل عادى يقوم به الإنسان ، كتدخين سيجارة ، أو ملامح الفرح أو الحزن على وجه انسان وغيرها من الأفعال الروتينية ، يستطيع الكاتب أن يحولها بفضل الحس الفتنازى ، إلى لقطات فتنازيا جميلة بها غموض ، يقلق لكن لايعتم . لقد قال الكاتب ، إن كتابه (تخليصات الطيب) سيكون مليئاً بمجموعة من الحيوانات التى تتكلم وتتحرك ، الهدد ، الضبع ، الديك ، الثور ، ابن أوى ، عناوين الكتاب أغلبها أسماء طيور وحيوانات ، نقلة من نقالات الكاتب كى يشعر القارئ إنه فى عالم غير واقعى ومفاجآت فى نفس الوقت برؤية لايتوقعها .

٥- عند قراعتى قصة جسد يذوب فى عطر وألوان وفانوس « ، م ، اذكروا محاسن) ، شعرت إنها تهليلة للجسد وأفراحه وأسراره وذائده ، السرد والوصف فى هذه القصة ، تم ببطء مضفور بمتعة فى الحكى ، وكأنما الراوى ، سعى لتطويل وتمديد اللحظة ، لايريد بلوغ الذروة بسرعة ، لحظة اللذة لاتتجاوز ثوان ، لذا مددت واستطالت أثناء الكتابة ، كى تصل ربما ، إلى اكتشاف جديد ، هذه القصة ، دعتنى لإسترجاع المشاهد والعلاقات الجسدية ، فى رواية « مدن بلا نخيل » ، نجد « حمزة » وقد أحب « حياة » ، زوجة التاجر الذى يعمل عنده ، العلاقة الجنسية بينهما جعلتها تحمل بطفل ، زوجها العقيم اعتقد أن الطفل طفله ، كذلك أحب « مهدي » « مريم » ، زوجة أخيه ، فى قصة « رب البنات » (م ،

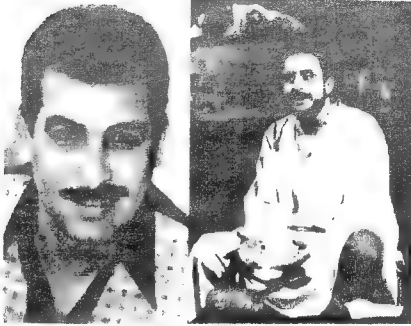
الجمال لا يقف ..) وقصة « شaban » ، (م ، اذكروا محاسن) ، ارتبط الجنس فيها بالشذوذ ، ثم قصة « فى آن » ، نفس المجموعة ، حكى الراوى وهو طفل ، عن خاله الذى كان يبيت عندهم ليلة مع زوجته ، فتصرخ ويسمع منها أصواتاً غريبة طوال الليل ، « بينما أمه تؤنب أخاها فى صوت مبجوح غاضب على طيشه وفيضان صبره » ص ٦٣ ، هذه المشاهد والعلاقات الجنسية ، على قلتها ، لكن تبدو عنيفة وخارجة عن المألوف ولايستطيع أصحابها السيطرة على غرائزهم ، جائز ، لأنهم سعوا بوعى أو من دون وعى ، لتجاهل العالم المحيط بهم .

٦- نهايات القصص لاتحمل توقعات الراوى والقارئ معاً ، فالقارئ عندما يقرأ يتوقع عدة أشياء ، لكن الكاتب قد اختار عدة نهايات يصعب على القارئ توقعها أو تخيلها ، مع دخول هذه النهايات فى السياق الطبيعى والمناسب مع القصة ، حدثت هذه النهايات غير المتوقعة فى قصص « الفريسة » ، « الجثة » ، فى انتظار سارة وغيرها .

٧- بعض القصص فيها توظيف للحكايات والأساطير القديمة ، كما فى « عين فى عيون العين » و« مداخل لخروج » ، من (م ، اذكروا محاسن) ، كذلك فى كتاب (حقيينة مملوءة بحمام وهديل) ، الأسطورة والحكاية الخرافية وظفت ، غالباً ، من أجل ، كسر حدة السرد واختراق الحكى وجعله أكثر تشويقاً ومتعة .

الآن لنتوقف بعض الوقت عند اللغة والتكنيك ، لقد كتب طارق الطيب ، مسرحية « الأسانسير » بالعامية ، وقدم لها بكلمة قصيرة عن علاقته مع العامية والفصحى ، ورأى أن العامية وهى لهجة اللسان الأولى منذ المولد ، لايمكن نزعها بسهولة ، كما إنه يعتقد أن هناك أحاديث تكون العامية فيها أعم والفصحى فيها أفصح ، وتمنى فى ختام تقديمه للمسرحية ، أن تكون « وصلتى هذه فى محلها ، وصلة بين العامية والفصحى ، على أن تكون التفرقة بينهما عن احترام لكليهما لا عن

كراهية واحدة للأخرى ، وعلى ألا يصير مستقبلاً كاتب العامية عدواً للفصحى
واللغة الأم. ص ١١ ، يمكن القول ، إن لغة ، الطيب ، سواء الفصحى أو العامية
، بمثابة أداة هامة فى مشروعه من أجل الوجود والمعرفة ، وإذا أردنا التدقيق ،
نقول مع آخرين ، إن لغته ، فيها من الغنائية قدر ومن الشغافية قدر ثان ومن
الألفاظ والمراوغة قدر ثالث ، لغة تملك القدرة على التعبير ، عن تلك المنطقة
الغامضة أو المضطربة لدى كل إنسان ، حيث تختلط الأحزان بالأشواق والرغبات
الدفينة بالخاوف ، خلاصة القول ، لغة ، تنفتح وتتدفق كالحياة ذاتها. بخصوص
التكنيك ، التكنيك عند الطيب ، متنوع حسب المواضيع ، تنوعت أساليب السرد
والحكى وهو أمر طبيعى كما قال الطيب صالح فى تقديمه لمجموعة (الجمل لايقف
..) ، هناك الأسلوب المباشر فى رواية الأحداث ، وأحياناً يتبع أسلوباً متقطعاً
متداخلاً أقرب إلى الأسلوب السينمائى ، وأحياناً يتبع أسلوباً درامياً أقرب إلى
المسرح وفى بعض الأحيان يتبع أسلوباً سورئالياً أو فنتازى ، إضافة لذلك ،
أرى إنه مغرم بالوصف المسهب والتفاصيل الصغيرة ، الوصف عنده يرتبط
بالسابق واللاحق ، لكن فى نسيج الكتابات تفاصيل صغيرة ، يقف عندها ،
يدفعنا ، كى نقف ونأمل مشهداً أو تفصيلاً بعينها ، قصة (القطار) (م) ، الجمل
لايقف ..) ، يحكى فيها الراوى عن الطفل الذى يشعر بالغة وهو تحت القطار
الواقف . كذلك وصف شجرة الليمون والعلاقة بين اللون الأصفر والأخضر فى
قصة « انكروا محاسن » من المجموعة التى بنفس العنوان . يمكن أيضاً أن نتكلم
عن الإيقاع فى القصص . يوجد إيقاع شبه موسيقى ، ناتج عن اللعب بالكلمات
وتوزيعها بشكل أحجية وأشكال مختلفة ، قصة « القطار » وه كلمات عمياء (م) ،
الجمل لايقف ...) وقصة « العرافة تقول » وه جسد يذوب (م) ، انكروا محاسن ،
الإيقاع الذى يداخل هذه القصص ، يقترب من إيقاع وصوت الطبول البعيد فى
الغابات الإفريقية.



الكلمة والموت وشبح جنين في مسرح الطبيعة ..

من الذى ساق "الحلاج" إلى حتفه؟

خالد سليمان

ترى هل يمكن لكاتب أو ناقد عربى أن ينفصل عن الأحداث المروعة التى تجرى على أرض فلسطين الطاهرة المروية بدماء الشهداء الذكية كى يتعامل مع نص أو عمل إبداعى بحياد ودم بارد ...؟ أظن أن ذلك أمر مستحيل اللهم إلا إذا "تخرتت" هذا الكاتب أو الناقد وأنضم إلى قطع خراثيت "يونسكو" ذوات الجلود السمكية والقلوب المتحجرة التى لا يفوقها فى "الخرتته" والحقارة إلا المجرم العتيد "شارون" وعصابة السفاحين التى شكل منها جيشه وأركان حربه. "النصوص العظيمة دائما حمالة أوجه" فهى دائما قابلة للتفسير والتأويل فى كل زمان ومكان .. تتفاعل مع الحدث الآتى تأخذ منه وتعطي وتنشئ أو تؤسس معه علاقة جدلية لا تنتهى حتى تبدو تلك العلاقة فى صيرورة دائمة ... وأظن أن المخرج "أحمد عبد العزيز" الذى يعرفه معظم الجمهور بوصفه نجما فى عالم التمثيل قد سيطرت عليه الفكرة أو المقولة التى ذكرتها آنفا أثناء التحضير لإخراج "مأساة الحلاج" أحد النصوص العظيمة التى قدمها للمسرح الراحل الكبير الشاعر "صلاح عبد الصبور" والتى قدمها "أحمد عبد العزيز" برؤية جديدة تختلف عن رؤاه السابقة (حيث سبق له وأن أخرج هذا النص عدة مرات فى المسرح الجامعى ومسرح الطبيعة أيضا).

وفي تصوري أن الرؤية "السينوغرافية" للفتان "مصطفى الشرقاوي" قد ساهمت بقوة في إبراز هذه الرؤية الجديدة لمخرج العرض الذي بدأ في عمله أثناء الزخم المتصاعد لانتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة ورجع صداها في الشارع العربي عامة والمصري خاصة الذي يشهد الآن "عودة الروح" التي غابت عنه طويلا ... روح الثورة والتمرد على الواقع المتردى .. روح الغداء التي أشرقت في أجلى صورها وكأروع ما يكون لدى جيل جديد وصغير في السن لم تستطع الأنظمة تغييبه.

"الحسين بن المنصور" من الذي ساقه إلى حتفه؟

ألا له خلق العذار وباح في لحظات النشوة والشطح وسكر الوجد كما يدعى بعض الصوفية ؟ وإذا كانوا ينحضون حجتهم بأنفسهم إلى يومنا هذا كلما أقروا بأن الرجل كان في مقام "فناء الفتنة" .. كيف إذن يستطيع أن يملك زمام نفسه أو يكبح جماحها !!! ؛ أم لأنه زنديق كافر تكلم في الذات الإلهية بما لا يجوز ؟ وهي فرية جاهزة لدى أنظمة الحكم المستبدة يلغون بها في وجه من يشاؤون لتمهيد طريق القتل وضرب الاعناق باسم الله .. في الوقت كانت نفس الأنظمة الاستبدادية تتجاوز عن شطحات أكبر من ذلك أو مثلها كشطحات "أبو اليزيد البسطامي" ما دامت لا تهدد عروشهم وأنظمتهم العفنة ولا تدعو لتثوير العامة عليهم .. إن صيحات "الحلاج" المشبوبة هي التي أوقدت نيران الخلاص في قلوب أبناء الشعب لتهد عرش الخليفة "المقتدر" (على شعبة بالطبع) ووزيرة الفاسد "أبن العباس" ونظامهم المهترئ .. ومن ذا الذي يقدر على غضب الجوعى المتهورين عندما تتحول كلمات الحلاج إليهم إلى جحيم مستعر في القلوب "الله فقول يا أبناء الله كونوا مثله"؛ الله قولى يا أبناء الله كونوا مثله"؛ "الله عزيزا أبناء الله" .. هذا هو بيت القصيد

- ويبقى "الحلاج" يسعى دوما نحو مصيره المحتوم .. يسير إلى حتفه وهو يعرف ذلك سلفا ؛ بيد أنه يغير طريقة أبدا ولا يرضى عنه بديلا كسائر أبطال "التراجيديات" الخالدة "سيزيف"؛ "بروميثيوس"؛ "المسيح"؛ "الحسين بن علي" الذي أكد له "الفرزدق" أن أصحابه وأنصاره "قلوبهم معه وميولهم عليه" ورغم ذلك لم يغير طريقة المشنوم واستمر فسى السعى إلى حتفه؛ وكذا "الحلاج" الذي تنبأ بمصيره (الصلب وتقطيع الأوصال وضرب العنق) قبل حدوثه بأحدى عشر أو ثلاثة عشر عاما كما يروي صاحبه "أبن فاتك" .. ولا شك في أن الذي يميز "المسيح" و"الحسين بن علي" و"الحلاج" عن سابقيهم الذين ذكرناهم على سبيل المثال لا الحصر أنهم حقائق ملموسة وليسوا بأساطير مما يفضى عليهم مسحة من القداسة والحزن والشجن وحلما متجددا لدى كل من نهج نهجهم فسى الخلاص ذات يوم.

ولا تستطيع أن تتخطى الاسقاط الذي توحى به كلمات "الحلاج" في أن "أبى عمار" ربما أنضم إلى تلك القافلة من الأبطال التراجيديين وتحول إلى أسطورة خالدة إن استمر فسى الصمود وأصر على موقفه النبيل فتنمحي كل صفحات الشقاق والخلاف إلى الأبد !!؛ ولنقرأ سويا كلمات "الحلاج" إلى صاحبه "أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا إبراهيم أصحابى آيات القرآن وأحرفه ..؛

كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون؛ أحياء الأموات، الشهداء الموعودون .. فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء .. آلاف المظلومين المنكسرين؛ وهل يمكن أن نتصور فرسانا للخيال البلق إلا وفاء الدريس" وآيات الأخرس" ورفاقهم الشهداء رغم انوف "جورج بوش" ورفاقه .. أليكون آلاف وملايين المظلومين المنكسرين غير اشفاقنا في "جنين ونابلس وبيت لحم" وغدا في "غزة" .. يقول "أبن فانتك" لصاحبه "الحلاج" يا مولاي .. في عصر ملثات، قاس، وضنين .. لن يصنع ربى خارقة أو معجزة، كي ينفذ جيلا من هلكى قد ماتوا قبل الموت" .. ولعل كلمات "أبن فانتك" تحيلنا على الفور إلى الواقع العربى .. ليورد "الحلاج" عليه وكأنه لسان حال أبناء فلسطين (مشاريع الشهادة) "لا أطلب من ربى أن يصنع معجزة، بل أن يعطيني جلدا .. كى أدرك أصحابي عنده" .. أليست النصوص العظيمة حمالة أوجه ؟ .. هذا ما أدركه بذكاء "أحمد عبد العزيز" مخرج العرض الذى حرص على إبراز مستوياته وأبعاده المتعددة .. السياسة والاجتماعية والإنسانية ليعيد صياغته الإخراجية وفقا لرؤيته الجديدة التى تواكب الواقع الذى نعيشه، وكان موافقا إلى حد بعيد فى توظيف موسيقى "أمير عبد المجيد" الشبكية فى إبراز المعانى وتأكيدا من خلال (التقطيع) و(الربط) فى متن العمل بحق ونعومه فحافظ على انسجامه النص وتدفقه .. كما وظف صوت "على الحجار" العذب بحيث أصبح جزءا هاما ومؤثرا فى الدراما وكأنه موجودا سلفا فى نسجها فأصبح "حميتها وسداها" ولا شك إن اختياره لعلى الحجار" (من أفضل من غنوا فى الاعمال الدرامية) كان من عوامل نجاح العمل لأن "الحجار" يتمتع بحس شديد الرهافة لكل معنى يلغظه بحيث أنه يجعلك تسمع وكأنك ترى .. ولم يغيب المخرج أفراد الشعب عن العرض منذ بدايته تقريبا وحتى مشهد النهاية كما لو كان يؤكد وجودهم فى الحدث دائما إيجابا أو سلبا .. فهم مشاركون تارة ومتفرجون تارة ومتورطون حتى فى القتل (قتل الحلاج) لم يستثن المخرج من ذلك أحدا بما فى ذلك خلسة "الحلاج" وأتباعه كالشبلى و "أبن فانتك" أو المتعاطفون معه كالقاضى أبن سريج و "العاملة" .. كما وضع خطة إضاءة متميزة ومعبرة لعبت الشموع دورا هاما فيها .. وكان المخرج "أحمد عبد العزيز" حريصا على توظيف المعادل البصرى لتأكيد رؤيته خاصة من خلال الإحالة بتصرف إلى شكل الصلب الكلاسيكى فى مشهدين "الجلد" (جلد الحلاج فى محبسه) .. ومشهد النهاية .. وإن أخل أداء الحارس فى مشهد "الجلد" ببراء المعادل البصرى .. كما أن مشهد النهاية كان يمكن أن يكون أكثر اختصارا وسخونة تناسب ثراء المعادل البصرى الذى اختاره وإخلاص النجم "محمود مسعود" الذى لعب دور "الحلاج" ؛ وقد أكدت الرؤية السينوغرافية لمصطفى الشرقاوى رؤية المخرج أو كانت بالأحرى مكملة لها لتتشى بما بين السطور .. بالإحياء بفكرة المتاهة والغربة وشظف العيش التى يحياها الإنسان البسيط فى كل العصور من خلال مدخل "الخيخ الدوى" الذى يمر من خلاله الجمهور قبل أن يلف إلى قاعة العرض وإن كانت إضاءته تحتاج إلى إعادة نظر .. وقد غطى قاعة العرض بالكامل بخيمة تشبه السماء تتخلها دوائر بيضاء "دوامية" تشبه طافات النور الغامضة وكأنها تحمل فى طياتها قدسية ما .. كما قسم المسرح إلى عدة مستويات (٧ تقريبا) بكل ما يحمله هذا التقسيم من دلالات على كافة المستويات ومن (إرابب) (صاعد أو هابط) حسبما يتم توظيفه لخدمة الرؤيا الإخراجية؛ وتوسط المسرح شكل هرمى (فى إشارة لهرم السلطة)،

ولعل وجوده الثابت كان مقصودا ليبقى جاثما على الصدور ولا يمكن قبوله إلا على مضض... وفي العمق خلفية بيضاء قابلة لتتويعات الإضاءة عليها زرقاء أو حمراء حسب مقتضيات الدراما... كما خدم الجزء الزجاجي الدائري الذي جعله "الشرقاوى" فى مقدمته خشية المسرح (وسط الجمهور تقريبا) والإضاءة التى وضعت داخله مشهدي (الجلد) و (الشنق) النهاية... وكانت السبعة أحبال التى تتكلى من المشنقة التى تهبط فى مشهد النهاية من أعلى موزعة على المستويات المتعددة فى دلالة واضحة على مسئولية الجميع عن مصرع الحلاج لتؤكد ما جاء فى النص أن جميعهم يحمل دم الشهيد فى رقبته (وما أشبه الليلة بالبارحة)... بيد أن الشكل الهرمى السلطوى الذى توسط المسرح قلل أحيانا من ديناميكية العرض خاصة فى مشهد المحاكمة.. النجم "محمود مسعود" بأدائه الرائع لم يزدى شخصية "الحلاج" فقط إنما جسد بأدائه الفريد كل ما تعنيه كلمة البطل التراجيضى؛ الفنان "طارق إسماعيل" الذى لعب دور "الشبلى" أضاف إلى موهبته الصادقة أداء منضبطا فكانت انفعالاته دون تزيد تؤكد لنا فى كل لحظة أنه "الشبلى" الكتوم الذى لم يبح أبدا بسر محبوبية وتجلياته له.. فبدأ وكان الشخصية قد فصلت على مقاسه؛ أما "أيمن عبد الرحمن" الذى لعب دور السجين الأول فقد التزم بحدود الدور ولم يستدرج إلى مساحات الكوميديا التى يفضلها فبدأ أدائه ناضجا؛ كمال سليمان فى دور السجين الثانى انتزع أهات الإعجاب بأدائه الرفيع الذى حرم جمهوره منه بالغياب لفترة طويلة... الفنان "محمد محمود" طاقة كوميدية هائلة ساعد على إبرازها "الميزانسين" الحركة التى وضعها مخرج العرض لعب دور كبير القضاء (أبو عمر الحمادى) باقتدار وكان زميله "أحمد صيام" الذى لعب دور القاضى (أبن سليمان) نداله فساهم بقوة فى إبراز المسحة الهزلية التى أراد المخرج أن يضيفها على المحاكمة... أما القاضى الثالث (أبن سريج) "أحمد صادق" فقد لعبت موهبته وخبرته وأدائه الهادئ الواثق دورا هاما فى الحفاظ على توازن مشهد المحاكمة.

المحاكمة الجائرة

مشهد المحاكمة الذى كان يمكن أن يكون أكثر ديناميكية يبقى أهم مشاهد العرض والعلامة المفارقة فيه وقد حرص "أحمد عبد العزيز" مخرج العرض على توظيف أدواته لإبراز الإسقاطات المعاصرة لترخى سدولها على المأساة بركتها سواء كان يعنى مأساة الحلاج أو الشعب أو الوطن؛ أو كل ذلك معا... كانت ملابس الحرس أقرب إلى الملابس العسكرية المعاصرة.. مثلا (القائش) "الحزام" بدالاته واللون الأسود للزى الذى يقترب كثيرا من زى "الأمن المركزى"... أما ملابس القضاة الزاهية الألوان فقد كانت وسطا بين ملابس "البهائيل" الهزلية وملابس القضاة المعاصرون.. أما ألوانها فتقترب كثيرا من ألوان علم الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما يحمله من إسقاطات ودلالات تتسحب على من يفترض أنهم قضاة الشرع والنظام أو الأنظمة التى يمثلونها... كما استخدم كبير القضاة (جهاز تسجيل حديث) للإيقاع "بالحلاج" وحك التهمة الموجهة إليه ليجسد حيل مشنقته كما يقول "من أحكام الشرع"... كما وظف المخرج الشكل الهرمى فى إشارة واضحة لهرم السلطة المحلية والإقليمية والعالمية كما لو كان يعنى ما يرمى

"بالنظام العالمى الجديد" ... ووضع فى قمة ذلك الهرم السلطوى فوق قضاة الشرع الثلاثة شخصا صامتا طوال الوقت لا ترى إلا النذر اليسير من انفعالاته المكتومة التى تحجبها نظارة شمسية حديثة .. فقط قرب نهاية المحاكمة يلقى من عليائه "ورقة" تحمل التعليمات لكبير القضاة رغم أن هذه (الورقة) يفترض أنها كانت ستدخل مع الحارس من خارج قاعة المحاكمة طبقا للمشهد المرسوم .. ويعد أن تقرر المحكمة المتواطئة إدانة الحلاج .. لا ترضى إلا بإدالته وإصدار الحكم عليه بالإعدام نزولا على ما تدعى أنها رغبة الشعب ويخاطبهم كبير القضاة تحن قضاة الدولة لم يحكم .. أنتم .. حكمتهم؛ فحكمتهم .. ويبقى السؤال مطلقا بعد أن يشارك الجميع فى قتل "الحلاج" من مستويات المسرح المتعددة بما ذلك هرم السلطة فالجميع قد جذبوا أحبال المشنقة .. من هو "الحلاج" الذى كان يعنيه المخرج ؟ هل هو الصوفى الزاهد ؟ أم أنه الزعيم الثائر الرمز ؟ أم أنه الوطن ذاته ؟

الحلاج .. قديس الثورة والشهادة

هذا هو "الحلاج" الحقيقى فجهاده وثورته ومصرعه أكبر من أى إبداع يتناوله مهما كان عظيما واليون شاسع بين مصرع "الحلاج" الحقيقى الذى يفوق كل تصور ومصرعه فى أى عمل درامى تناوله .. ولم يكن وصف صديقه "الشبللى" الذى رجمه بورده إلا بعضا من شذاه .. يقول "الشبللى" إن استشهاد الحلاج لذة من الجمال المحرم؛ إنه زاد خلود؛ لا يظفر به إلا الأبطال؛ وليس بزاد يوزع على الجميع .. أليس "الحلاج" هو القائل بعد أن يتر جلاوته يديه "ركعتان فى العشق؛ لا يصح وضوءهما إلا بالدم" ... ولا يمكن تصور هذا العشق إلا لله، أو قيم ومبادئ عليا .. لعنه عشق الوطن الذى هو كل شئ؛ وهل يمكن تصور الوطن إلا قبسا من روح الله ونوره يزهر كل دقيقة آلاف الشهداء المرتقبين فى أرض فلسطين؟

هوامش: مصادر ومراجع: طبقات الصوفية (أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلسى - ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان سنة ١٩٩٨) / الحسين بن منصور الحلاج - شهيد التصوف الإسلامى (طه عبد الباقي سرور - ط ٣ نهضة للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٦) / شخصيات قلقة فى الإسلام (تأليف وترجمة د. عبد الرحمن بدوى - ط ١ سينا للنشر سنة ١٩٩٥) / أساسة الحلاج (صلاح عبد الصبور - ط ١ سنة ١٩٩٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب).

الصورتان: بطل العرض الفنان محمود مسعود والمخرج الممثل أحمد عبد العزيز

النعامة والطاوس ألف باء مدرسة الجنس الزوجية

محمد رجا

إنه عالم مليء بالأسرار والعجائب ، والتي تمتد لتشمل ما لا نتوقعه ففي هذا العمل اشتدت الرياح ، فإزالت بقوة ، وعنف - غير معهود - الساتر من فوق أسرار فراش الزوجية.

فهذه أسرة صغيرة يمتد عمرها القصير إلى ثلاث سنوات فحسب ، ولكن ما يكثر صفوها من مشاكل يمتد عمره إلى أمد بعيد ، قد يصل إلى ما قبل ميلاد الزوجين أطفالاً . والسبب يكمن في عدم الخبرة بعامل من أهم عوامل نجاح العلاقة الزوجية ألا وهو الكيفية التي يمارس بها الجنس على فراش الزوجية . ولهذا يفصل الزوجان جسدياً - بشكل لا إرادي - لإعادة بناء حياة سعيدة . ولتظهر أداة هذا البناء إلا بظهور أستاذ مساعد الطب النفسي لصمخ الثقة علمياً بين الطرفين لممارسة حياتهما الجنسية بشكل طبيعي.

اسم الفيلم : " النعامة والطاوس " وهو ما أدهشني كثيراً قبل مشاهدته إلا أنه بعد مرور جزء من العرض اعتقدت أن سبب التسمية يكمن في كينونة النعامة

والطاووس كحيوانات لانشاهدهما - غالباً - إلا في حدائق الحيوان .
ويوضع هذه التسمية في إطار العلاقة الزوجية نجد أنها - تلك العلاقة - مجرد
تعطش حيوانى بين ذكر وأنثى يستمدان سبب إستمرارية الحياة سويأ من
الفراش فقط . أما عن سبب اختيار هذين الجنسين فيسكون في مرحلة لاحقة .
ولكن بعد انتهاء العرض أدركت مدى سذاجتى . عندما اكتشفت أن تلك التسمية
جاءت لتدل على مقارنة بين اتجاهين أو بالأصح بين تيارين أحدهما قوى ، والآخر
ضعيف يتلمس طريقه فى الظلام ليجد من يؤيده فيسانده . فالفيلم إبحار ضد
تيار يرفض الحديث عن الجنس والجسد باعتبارهما درياً من دروب المحرمات .
وهو ماينتهى بإفساد عقول الصغار بعد الزواج مما قد يدفعهم - بشكل غير
مباشر - لممارسته بطريق غير شرعى أو مشاهدته فى أفلام بلا مقدمات أو " كلام
فارغ " فضلاً عن التعود على المشاهدات والتي قد تصل - فى بعض الأحيان -
إلى فناء هذه العلاقة وضياع ثمارها . وقد أصبح هذا التيار نعمة تسعى دوماً
لفرس رأسها فى الرمال حتى لا تكلف نفسها عناء النظر إلى عالمها المحيط . أما
الطاووس فهو ذلك العمل السينمائى ذاته والذى ظهر إلى النور بعد عناء سنوات
طويلة بسبب اتباع قانون النعمة . فتجد هذا الطاووس يحاول جاهداً أن ينثر
ريشه الملون إلى أبعد مكان ويسير فى زهو واعتزاز شاعراً بمدى تفرده وتميزه
عن الآخر . لذلك اتخذ رمزاً بالفيلم كدعوة لدراسة التربية الجنسية فى المدارس
فى إطار إبراز العلاقة بين الجنس ، والعلم ، والدين ، وكيفية الإحساس بالمتعة
الكاملة شرعياً للتخلص من الاضطرابات ، والحرص على الأخلاق الفاضلة .
مشيراً فى الوقت ذاته إلى صعوبة تقبل المجتمع بمعاييرهِ الجاهدة لذلك ، وكما
رأينا بالفيلم (عدم الاقتناع بوجود علاقة صداقة تجمع بين رجل وامرأة - الخجل
عند قراءة الموضوع الصحفى " مدرسة الجنس " - توجيه كلمة " خوجاية " كاتهام
للمسئولة عن هذا التيار - صعوبة النطق عند قراءة الموضوع - التقليل من شأنه
بعدم الاقتناع) .

فكان كل ذلك من دواعي ظهور هذا العمل لتصحيح مفهوم الجنس ولاسيما عند المتلقى في مرحلة المراهقة كأداة لإعادة النظر إليه كغريزة فطرية ، لا ينبغي الخجل منها ، أو اهمالها بادعاء عدم حلول الوقت المناسب لخلق مساحة من المناقشة وتبادل الآراء والأفكار فيما يتعلق بها . بالرغم من تيقن المسؤولين عن فتح أبواب تلك المناقشة أن صغارهم يكتسبون هذه الخبرة خارج ذلك الإطار الأسرى أو الدراسي . ولكنهم لا يعلمون أنها قد تتشكل كنتيجة لمعلومات خاطئة فتكون - لاحقاً - معولاً يدمر حياة هؤلاء الضحايا . فنجد الزوج " حمدي " قد اكتسب خبرته تلك من قراءة الكتب الصفراء ، وبما يتردد من حوار وسلوك مع رفاق سوء مرحلة المراهقة فلم يع جيداً ماهيته في الإطار الشرعي ، وأصبح حيواناً ، لا يريد من زوجته سوى لذة الفراش ، والتي أصبح يمارسها - دون أن يعي ذلك - بطريقة بيروقراطية ليصبح موعداً الثانية عشرة مساءً ما يدفع إلى الاعتقاد بأنها - تلك الممارسة - اغتصاب شرعي ! أكثر منها جماع زوجي . أما عن الزوجة " سميرة " فقد منع عنها الحوار فضلاً عن تعرضها في مرحلة المراهقة لتجارب فرضت عليها فكان الهروب رد الفعل الطبيعي . فلم تع جيداً وأجابات الزوجة . بالإضافة إلى تمسك الأهل بعادة الختان . فأصبحت على لسانها " وأنا في حضنه يبقى مرتاحة قلقانة متلخبطة قلبي بيدق " - وعلى لسان زوجها " باردة - جماد " بجانب عدم الإحساس بالرضا تجاه زوجته ، والتي تبادلته نفس الشعور . وذلك حتى ظهور " د/ فاطمة بسيوني " عندما أزال الغموض من تلك المفاهيم وأضفت عليها جانباً من الشفافية والوضوح نوعاً ما .

ولكن بالرغم من أن الفيلم يحمل اسم " النعامة والطاووس " ، ظل مضمونه الصريح المباشر يخدم تلك التسمية الأولى " مدرسة الجنس " التي اختفت للهروب من تلك الضغوط الرقابية . وظلت د/ فاطمة تقوم بدور المعلم ، الذي يقوم بتلقين ما ينبغي فعله ، وما لا ينبغي ، لكل من " حمدي " و " سميرة " في نور تلاميذ تلك المدرسة . وبهذا تحول الفيلم السينمائي إلى مجرد برنامج تعليمي ، يهاجم جمود

وركود تلك القيم المجتمعية. ولكنه لا يدري أنه قتل بتلك المعالجة الصريحة فرصة الحوار التفاعلي بينه وبين الجمهور لخلوها - أى تلك المعالجة - من قدر الرمزية الكافى لإثارة العديد من التساؤلات فى ذهن ذلك الجمهور.

لذا فقيمة الفيلم تكمن فى الإشارة إلى هذه المنطقة الحساسة بصرف النظر عن كيفية تناولها ، وترجمتها إلى فيلم سينمائى يحمل رسالة صريحة ومباشرة . وكأنها صفقة قوية من ذلك الطاووس - الذى مازال يمثل اتجاهاً ضعيفاً فى مجتمعنا - على وجه تلك النعامة الضعيفة - بالرغم من استمرارها فى فرض طريقته فى النظر إلى الأشياء على السواد الأعظم من أفراد مجتمعنا - وهى لن تستطيع بعد تلك الصفقة احتمال ملامسة الرمال لوجهها عند محاولة إخفائه ، لتصبح مجبرة على النظر والتعقل.

وانتقالاً إلى صعيد آخر نجد أن :-

- كل عناصر الفيلم كانت موفقة فى إبراز الفكرة ، التى جاءت بسيطة واضحة بفضل رؤية الراحل " صلاح أبو سيف " ومعالجة " لينين الرملى "

- كانت الموسيقى حلقة الوصل بين صراع الشخصيات الباطن والظاهر بالرغم من هدوئها وغايتها فى معظم المشاهد وتحية تقدير للموسيقار " عمر خيرت " ، كذلك الديكور الداخلى والخارجى " لإسلام يوسف " فرض ببساطته قدرته على تجسيم الكلمة المنطوقة والمحسوسة بالحجم واللون ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :- مشهد قام فيه " حمدى " بالاتصال تليفونيا بزوجته للتأكد من وجودها بالمنزل عندما انتابته شكوك خيانتها له ، فكانت الخلفية جدار من الطوب الأحمر لم يكتمل بعد ، وكأنه انعكاس لندمه من تلك المحاولة ، وكأن هذا الجدار رمز لعلاقة زوجية لم تكتمل بعد . ولقد أبرز جماليات ذلك الديكور تصوير " عاطف المهدي " ورأينا فى أكثر من مشهد قدرة خلفيته على التعبير عما لم تستطع الشخصيات التعبير عنه ، وهنا لا أستطيع أن أتجاهل مشهد حاوات فيه " سميرة " خيانة زوجها فى هاجس يلاحقها ، ولم تتم الخيانة لاستخدام أسلوب المزج فى الصورة



، وعند انعكاس ذلك الهاجس واقعاً ، تراجعت " سميرة " فى آخر لحظة عن الذهاب إلى صاحب العمل ، والذي كان يلاحقها لإقامة علاقة غير مشروعة ، عندما كان سبب هذا التراجع صوت القرآن وحكم الدين الإسلامى على الزانى والزانية . وكذلك كانت مشاهد " الفلاش باك " بسيطة بزواياها المائلة وغلبة اللون الأخضر عليها . وتحية أخرى للمونتير " سيد عبد المحسن " الذى رسم كل ذلك فى تأبلوه خيالى لإبراز موضوع واقعى.

- أضافت الفنانة " بلبلية " (د/فاطمة) لهذا الدور بعداً درامياً بالرغم من جموده وغلبة طابع التلقين المعلوماتى - الذى تحدثنا عنه قبلاً - عليه.

يتقدم الفنان مصطفى شعبان " المرة تلو الأخرى.

- الوجه الجديد " بسمة " على وعى كبير بلغة إيماءات الوجه .

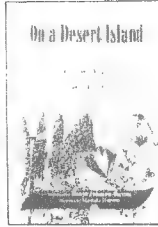
- خالد صالح العديد من الأنوار مقابل العديد من الأداءات الفريدة.

- جاء نور الواعظ " أحمد عقل " نمطياً ، ولم يصف جيداً.

- وفى النهاية : تحية كبيرة للمخرج " محمد أبو سيف " الفنان البار المتمرد.

وختاماً :- فلنترحم على روح الفنان " صلاح أبو سيف " ، ولنا أن نتخيل أثر هذا الفيلم لو نفذ من ثلاثين عاماً.

مع الكتب



نخاطب أطفال العالم بالانجليزية

تجربة جديدة تبدأها دار الشروق مع سلسلة (صن فلور بوكس) التي خصصتها للأطفال، واختارت دينيس جونسون ديفيد ليكون مؤلف ومترجم الكتب الأربعة الأولى التي رسمها مصطفى حسين وأحمد عبد الوهاب ووليد طاهر وإياس جعينة. الناشرة أميرة أبو المجد أعلنت أنها بصدد الإصدار لأربعة كتب أخرى تصدر بعد شهرين، ربما يكون أحدها كتاب دينيس نفسه عن صحابة الرسول. وسيكون على هذه السلسلة عبء تقديم صوت مغاير للصورة التي يتناولها بها الأدب المتداول في الغرب عن الشرق، الذي يستقى من مخيال ألف ليلة وليلة فقط، ولذلك ننتظر أن تقدم السلسلة أكثر من حكايات اللصوص والنشالين، وأن تنكس على التراث الغريد مثل قصة حي بن يقظان لابن طفيل، التي قدمها الشاعر الفذ صلاح عبد الصبور قبل أن يترجمها دينيس في (صن فلور بوكس).

جائزة البابطين : الشعر والشاعر

حين أعلنت الكويت عاصمة للثقافة العربية، سعت مؤسسة جائزة عبد العزيز سهود البابطين للإبداع الشعري لتنفيذ أكثر من مشروع ثقافي، كان من بينها المسابقة التي دارت حول الشعر والشاعر وتقدم إليها نحو ٥٠٠ شاعر من البلدان العربية، وقد انتخب منها عبد العزيز السريع ٢٢ قصيدة ضمها كتاب الشعر والشاعر، الذي حمل قصيدة الفائز الثاني من مصر الشاعر مدحت علام، ويقول فيها: لما أتاه الشعر وارتبك الكلام على الوزن، وأحس أن غيابه قد طال في ليل الأرق، وعلى مشارف حزنه يأتي الغياب محملاً.. بالعلم والألم المعتقد، أفضى إلي بسره، حتى استراب القلب خوفاً وارتعد.



طارق هاشم : كمان وحيد

على كمانه الوحيد يعزف شاعر العامية أكثر من لحن يستقيه من لحظات يومية تدبّ
الذهن وهو كما يقول عن نفسه: أنا الشاعر/ أو صاحب أشهر قصيدة في سنة ٢٠٠١/
على حافة نيل طويل تمت/ وانتحرت/ القصيدة التي يتفصح تواريخهم/ بدون أي زعيق
جمععة/ اعتقد إنها دلوقت من أهم القصائد / في تاريخ الشعر المكتوب بالعامية/ والله
من حقها إنها تتسمى بالقصيدة المناضلة.

السماح عبد الله: أحوال الحاكي

في ديوان السامح عبد الله الجديد (أحوال الحاكي)؛ الخامس في مسيرته الشعرية
مراوحة بين النص القصير والطويل، مثلما هي المراوحة بين قصيدة إيقاعية وأخرى
سواها، يقول: قمرٌ تدور واكمل/ فخرجت من داري الأحقة وصوبت القصيدة نحوها
أفل.

شعبان يوسف : أكثر من سبب للعزلة

الديوان الأخير من مجموعة كتابات جديدة لصديقي الشاعر شعبان يوسف الذي لجدور
في إحياء ورشة نقدية حقيقية تساهم في وسط غياب مؤسسي عن المشهد في رقد الحياة
الأدبية ليس فقط بمبدعين جدد بل وينقاد جدد، تبرز أصواتهم جنباً إلى جنب مع كبار
ضيوف ورشة الزيتون. وهو هنا في ديوانه (أكثر من سبب للعزلة) يبحث لروح تصب
عن أمان وحب يمنحهما لها، وهو يعالج جنونه: وأعرف أن جنوني سيرتد حتماً/ إلى
النقطة المربكة/ لأنك لم تدري - في الحقيقة - بعض اضطرابي / ولم تلحظي - في
الحقيقة - قدر اشتباكي/ سكت.. وكان الذين يلفون حولك/ يشتبكون بكل اللفظ/
وينتبهون لايقاع عازفة/ يتمدد تحت كريستال عيني/ يندھشون.

نساء الصحراء في رواية (نقرات الظباء)

لا تذكر الصحراء الا ويذكر عالمها الرجولي: الفروسية واغارات القوافل والصعاليك المترحلون في قلواتها والشمراء الهاجون أعداءهم والعاشقون لبنات كبير قبيلتهم حتى صدرت رواية (نقرات الظباء) للروائية ميرال الطحاوي عن دار شقيقات لتسرد التاريخ المقابل غير الذكوري والعالم النسوي للبدويات.

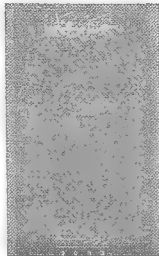
أطلت الطحاوي على عالم الادب لأول مرة بمجموعتها القصصية (ريسم الهراري المستحيلة) في العام ١٩٩٥ التي صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ثم اصدرت روايتها الاولى (الخباء) في العام التالي وتوزعت طبعاتها العربية الثلاث على دار شقيقات "١٩٩٦" والاداب البيروتية "١٩٩٩" ومكتبة الاسرة "٢٠٠١" حين اختيرت كأفضل عمل روائي عن "مكتبة الاسرة" خلال معرض القاهرة الدولي للكتاب لهذا العام ٢٠٠٢. بعد ان ترجمت الى الانجليزية والفرنسية والاسبانية والاطالية والالمانية واليونانية.

أما روايتها الثانية "البانجنانة الزرقاء" الصادرة في العام ١٩٩٨ فمنحت مؤلفتها جائزة الدولة التشجيعية في العام ٢٠٠٠ وترجمت الى ثلاث لغات.

وتكتب الطحاوي في روايتها الثالثة "نقرات الظباء" حكاية اسرة الجد الكبير الشالعي الذي يطوف بالقوافل من سنار الى قوص "في الصحراء الشرقية جنوبي مصر" وتقدم للذاكرة الكتابية مفردات عن سيرة هذه القوافل ويوميات مجتمع مغلق ومنسي "الاطعمة والازياء والعادات" لكنها تستدعي عالم المدينة الموازي من خلال الطريق الاسفلتية الذي تجري عليه المركبات مثلما تنتقل القوافل بين مدقات الصحراء "طرقها غير المرصوفة" وواحاتها.

والظباء مفردا (ظبية) وهي أنثى الغزال في اشارة الى العالم الانثوي الذي تفتح الكتابية بابيه فيما النقر على ذلك الباب هو الضرب الخفيف. وهكذا يرسم العنوان ملامح عالم ميرال بانة محاولات خجولة للدخول في العوالم الانثوية لبدويات الصحراء من خلال شخصيات (الجددة النجدية والعمة مزنة والصغيرة هند والخاتمة اشراح وزميلتها روضة والبننت سهلة والاميرة مهرة) وغيرهن.

ومثل كتب التراث نجد بين صفحة واخرى تذييلا يشرح الالهازيج "الاغاني البدوية الرعوية" ويوضح المعاني ويبسط الالفاظ وان كان رجال الرواية يتشابهون مع رجال الحضر فان نساءها "لسن كاحد من نساء المدينة فالعمة فاطمة لها مكانتها القوية وهي حين جاءت من كفر الزيات على هودج وقافلة من الجمال اطلقوا لمقدمها الخرطوش "رصاص يطلق في الهواء عند الافراح" طوال سبعة ايام كابنه عرب حقيقيه" كما تقول الرواية التي تتوزع بين عشرة فصول ومائة واربعة عشر صفحة من القطع الصغير.



عبد الحكيم حيدر : حنان الكاتب

أجد دائما في قصص صديقي حيدر ذلك الولوج بدور عازف الربابة، حكاية الزم—
القديم، لكنه اليوم يخرج من خص أفكاره المعتادة ليلتقي بالبنات اللاتي يحمنه
وسط المدينة، المثققات وأنصاف المبدعات، وهو في العنوان لا يبتهن حنانه بل
يبحث له/الكاتب عن تلك الحنان المرادف أحيانا للحياة.

حسن بن عثمان : شيخان

الروائي التونسي حسن بن عثمان ينقلنا دفعة واحدة من بنات جروبي وطلع
حرب عند عبد الحكيم حيدر الى بنات عاشقات في قرية تونسية يحلق شـيـخ
لحيته يوم العيد ليوزعها على أهل القرية فينالوا شفاعدة دخول الجنة! هذشيخ
الصفحات الثلاثين الأولى فما بالكم والرواية تمتد مانتين وثلاثين صفحة أخرى؟

محمود أحمد علي : من يحمل الراية ..؟

نشر محمود أحمد علي قصصه في ٤٩ . دورية ذكرها جميعا على غلاف مجموعته
الجديدة (من يحمل الراية..؟) وفي الداخل إشارة لكل قصة وكيف تكرر نشر
(قصة لماذا قتلت مثلا نشرت في الاهرام المسائي والاقتصاد والمحاسبة والسـبـح
العربي والوقائع العربية بين يناير ١٩٩٧ وأكتوبر ١٩٩٩)، وهي قصص تحمل
الكثير من الحنكة اللغوية والحكمة الميلودرامية وبطلاته رغم عذاباتهن إلا أنه هـ
صورة حية وفاضحة لمجتمع يعاني السقوط.



زياد عبد الفتاح : المعبر

ما بين أحداث سبتمبر وانتفاضة الأقصى يعبر بنا الكاتب الفلسطيني زياد عبد الفتاح في روايته الجديدة (المعبر) الصادرة في روايات الهلال. صدر له أكثر من مجموعة قصصية وتأتي هذه الرواية لترسم ملامح خريطة عربية ترفرف عليها أعلام المهانة.

هدى حسين : همس اللمسات

قصص هدى حسين — أو لوحاتها النثرية التي تتغلب فيها المشاعر على الحس الدرامي تجمعها في مجموعة (همس اللمسات) التي زينتها رسوم الفنان أحمد عز العرب.

نبيل خلف : طفل الأحلام أم طفل الكوابيس

يضع الكاتب نبيل خلف عنواناً فرعياً لمؤلفه الأحدث: صياغة جديدة لسيناريو العنف، يحاول من خلاله أن يشعل الذاكرة ويحفز الهمم لإنقاذ الطغول من براثن المستقبل الكابوس.

حسن الجوخ : أوراق .. ومسافات

القصص والناقد حسن الجوخ يقدم في مؤلفه الجديد (أوراق .. ومسافات) الصادر في سلسلة كتابات نقدية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مجموعة من قراءاته في القصة المصرية القصيرة المعاصرة ، متناولاً أعمال عبد العال الحامصى ورفقى بدوى ومحسن يونس والداخلى طه وعلى عيد وغيرهم في أكثر من ٣٩٠ صفحة.



د. أحمد مجاهد : مسرح صلاح عبد الصبور

مسرح صلاح عبد الصبور يقدمه الدكتور أحمد مجاهد عبر قراءة سيميولوجية في كتاب من جزأين صدر في نحو ٨٦٠ صفحة ضمن سلسلة الهيئة العامة لقصور الثقافة (كتابات نقدية) وهو لا غنى عنه لكل دارس لأدب رائد المسرح الشعري والشعر الحديث.

د. ناهد رمزي : المرأة والإعلام

تقدم الدكتورة ناهد رمزي في أحدث كتبها الصادر عن الدار المصرية اللبنانية (المرأة والإعلام في عالم متغير) تقدم في فصوله الخمسة تغير أوضاع المرأة عالم متغير وأبعاد سلوكها في الخطاب الصحفي النسائي مع مقارنة صورتها بصورة الرجل في الدراما التلفزيونية مع إشارة لدور وسائل الإعلام في تغيير هذا الواقع وصولاً إلى صياغة سياسات للنهوض بالمرأة اجتماعياً.

طيبة : النسوية والهوية

العدد الأحدث من مجلة مركز دراسات المرأة الجديدة (طيبة) تخصصه رئيسة تحرير العدد للنسوية والهوية ، لا تقدم فيه صوراً من صفحات نضال النساء المصريات وحسب بل وترجمات حول المرأة الفلسطينية والانتفاضة فضلاً عن بحث هام حول حكومة الجسد تقدم فيه الدكتورة ميرفت عبد الناصر رؤية حول الجسد من خلال حالتها الظهور والاختفاء وسوكيات عديدة يحاول فيها هذا الجسد التمرد حتى على صاحبه / صاحبتة.

ندوات أدب ونقد



ندوة أدب ونقد تعيش أمسية فلسطينية

استأنفت ندوة أدب ونقد نشاطها الشهر الماضي بأمنية فلسطينية. وازدانت قاعة الدكتور فؤاد مرسى بمقر حزب التجمع حيث أقيمت الندوة برسوم كاريكاتورية لأكثر من أربعين فنانا عربيا قدموا رؤيتهم حول الانتفاضة ومقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال. وفي الأمسية التي قدمت لها الناقدة فريدة النقاش رئيس تحرير المجلة قرأ الشاعر أشرف أبو اليزيد قصيدتي محمود درويش (حالة حصار) وسميح القاسم (العشاء الأخير) التي رثي بها ناجي العلي.

كما ألقى الكاتب خالد سليمان مجموعة قصائد لمحمود درويش وفؤاد حداد وعدد من شعراء المقاومة، وفيما غنى الفنان أحمد اسماعيل (الصورة العليا إلى اليسار) بمصاحبة عوده أكثر من أغنية رزدها معه الحضور لعنها الكلمات الشاعرين فؤاد حداد وعبد الستار محمود الذي انضم للندوة وألقى مجموعة من أشعاره، منها (الدرة) التي تقول كلماتها: الدرة روح بورسعيد/ كل اللي ماتوا في سيناء/ السدرة دم الشهيد/ طاليل بيعتب علينا/ الدرة في بحر البقر/ غنواية في طاوور الصباح/ بتفسي لسلام البشر/ واللحم من دمه جراح/ الدرة يا إنسانية/ غصن الزيتون والختام/ الدرة رمز القضية/ في ملف سموه السلام؛ كان الفنان محمد عزت (الصورة العليا إلى اليمين) رفيق الأمسية التي ألهمت حماس الجمهور القليل الذي حضر الأمسية وشارك في القاء وإلقاء الشعر، وحرص أحد ضيوف الندوة على عرض إطاريين مكللين بالورود أحدهما للشهيدة وفاء إدريس والآخر للزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

تحية طيبة .. وبعد
فأستهل الرسالة بالسلام
خطت مجلتكم خطى واثقة تجاه
تخصيص بعض الصفحات للتواصل
والتي تعنى بنشر إبداعات الشباب
ولكننى أمل زيادة هذه المساحة لإنها -
بالفعل - تؤثر فى الواقع الأدبى وتثرى
التجربة.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام
عصام الدين محمد أحمد

الأستاذة / فريدة النقاش
المحترمة
بعد الحب والتقدير

أعتقد أنها مغامرة غير مضمونة
المواقب .. حينما يلج على عشقى
العظيم لأدب ونقد ولشخصك الكريم ..
وأقوم بإرسال قصيدة أخرى لك ربما
تقع فى يد زميل يقدر الاسم قبل
القصيدة ويرى أن الإبداع حكر على
الأسماء المعرفة فقط وغير ذلك هرطقات

مثاها صفحة القراء ، التى ظهرت فجأة
من أجل حرق أعصابى ثم اختفت ،
ووقتك المزدحم بالأعمال لايسمح لى كى
أقص عليك حكاية شاب هاجر من وطنه
الذى اعتاد على أكل أبنائه ، وإن
هجرته إلى بلاد الغربة كانت ناجحة
على جميع المستويات ، وقصائده
تستوعبها الصفحات الثقافية الجادة فى
معظم الجرائد والمجلات الخليجية
والعربية وأنه لمسن نية وطيبة ابن البلد
أراد التواصل معكم فاستقرت قصيدته
فى باب "تواصل" وبئس المصير ، وهذه
مفارقة عجيبة ومحزنة فى نفس الوقت ،
لأن هذا الباب كان يصلح لقصائد
كتبها قبل عشرين سنة مضت ، وعلى
الرغم من ذلك فإن حبه وتقديره لأدب
ونقد مازال قائماً ، ولم تؤثر عليهما
ما اقترفته أيدي الزميل من ظلم وتجنس .
وك كل حبيب وتقديرى وبالمناسبة
أحسست من خلال اتصالى الهاتفى بك
أنك قمة فى الأخلاق وحسن التعامل



والرقة في الحديث ، وهذا أسعدني كثيراً الصحافة المصرية .. فهل هذه
ولكم تحياتي سياستكم الصحفية ؟ أم أن هذا الأمر

الصحفي / مدحت علام
جريدة الرأي العام /
الصفحة الثقافية الكويت
لقد سمعت ، وأقول سمعت لأنني لم أرى ،
أنكم نشرتم ملفاً للأدب العراقي ، وكان
أملنا أن تبعثوا لنا ولو بعدد واحد فقط
، لأن المجلة لاتصل الى بغداد البتة.

تحية طيبة وبعد ..
يسرني ويشرفني أن أتواصل مع هذا
الصرح الكبير " أدب ونقد" ومع
سماحتكم الجليلة.

لقد بعثت لحضرتكم نصوصاً سابقة ، أمل أن تثير إعجابكم.

ولم أقرأ أجابكم وهو يرفرف عبر

صندوق بريدي ، وكنت أتمنى ذلك من

كل قلبي . لأعرف بالضبط لم هذا

التعامل معنا ، إن الأمر لايتعلق بـ "

أدب ونقد" فقط ، بل يتعداه إلى كافة

مع فائق المودة والاحترام

والسلام

تلميذكم

صفاء ذياب

أدب وفن

بطاقة فن : سناء كيالي

يتساءل المصور الفنان والمخرج الصحفي عصام طنطاوي في سطور تصديرية للمعرض الكتاب الذي صدر في العاصمة الأردنية عمان: كم من القنوات والتقنيات مرت بها اللوحة قبل أن تسجل حضورها الجديد على سطح الورق، هل اللوحة المطبوعة هي ذات اللوحة المطبوعة على الجدار؟! هل تشبهها...؟ ويجب طنطاوي: صورة اللوحة المطبوعة على مساحة صغيرة من الورق هي مخلوق جديد مختلف عن اللوحة الأصلية، هي رؤية جديدة للوحة.. بحجم مختلف وبألوان الطباعة التي تختلف تقنيا عن ألوان الرسم المستعملة مثل الزيت والأكرليك، قلبى يوسف الآن - ليس كحرفي فقط يخشى على عمله - بل لآثني ولطول العشرة مع لوحات الكتاب صوت أحب هذه اللوحات، وأحفظها تماما، وأخشى عليها، ولكن الصورة الوليدة المطبوعة هي شبيهة اللوحة الأم، وهي تسعى لأن تتشابه مع صورة أمها.. ولكن هل من الضروري دائما أن يشبهه الأبناء أمهاتهم؟!

هكذا دخلت إلى عالم الفنانة سناء كيالي قدومي (١٩٦٦) الأردنية الفلسطينية المولودة في السعودية. في عمر العشرين تنال كيالي درجتها العلمية الأولى في الإدارة الدولية (لندن ١٩٨٦) وتكمل رحلة عشق الفن بالحصول على شهادة الفنون الجميلة في جامعة لايفين (أثينا ١٩٩٣)، وتقيم معارضها بين الأردن والبحرين واليونان والامارات، لكن معرضها الأحدث في الكتاب الذي بين يدي الآن (سناء كيالي قدومي) الذي يقدمه رواق البلقاء (إصدارا سادسا، مواكبا لاحتفال الأردن بعمان عاصمة عربية للثقافة، في سلسلة المعرض الكتاب، بقلم المصور الفنان والشاعر محمد العامري، رئيس رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين.

واختار العامري (سناء كيالي والعلاقة بالمكان) عنوانا لقراءته البصرية التشكيلية التي صاحبت لوحات المعرض الكتاب، مشيرا لاكتشاف الفنانة "المساحة المسكوت عنها في الفحص، وإظهار جماليات ذلك التعايش بالخط واللون والملمس" بعد أن "جابت تلك القرية لتعكس ملامحها عبرها وتشير بريشة رقيقة إلى خشونة وملامسة الحجر هناك، وفُتحت تلك الأبواب المغقلة، وأدخلت الضوء إلى مساحة ظلالها لتشيع الحياة فيها من جديد".

أنتجول بعيني بين فضاءات اللوحات، أنتفس القرية التي أصبحت في وعيي نوافذ وأبوابا، تضئ لي لوحات سناء كيالي خرائط الرؤى، تعود بالأخشاب إلى سيرتها الأولى: قطع من الروح يتوزع بياضها وألوانها في مسافات محكمة وفطرية في آن واحد، أتلسمها على سطح الورق فقفضي لي بأسرار الذي مروا هناك، وغربشوا الجدران، وتركوا بصماتهم اللغوية رموزا في مكان تستعيد الفنانة تشكيله من جديد.

ترسم سناء كيالي في اللوحة نافذة واحدة لكن مربعاتها الزجاجية تحمل أكثر من عالم، فكانها الساحرة تقرأ في بلورتها تاريخ القرية. وحين ترسم الأبواب، نرى أذناها اللون الأزرق الداكن، وفي أوسطها الأخضر الحي، وأعلاها ذلك الأزرق الشفاف، هنا يتحول الباب إلى قرية كاملة، فيها السماء والمرج والماء، إنها معادلة بصرية موضوعية لا يعوزها تفسير ت. س. ليوت لنتكشف روح المكان في أعمال كيالي.

هكذا عشت مع لوحات كيالي وكلمات العامري وصور خلدون وطنطاوي التي طرزت المعرض الكتاب، وبت أنتفس الفحص، حتى قيل أن أراها، فالن أدى دوره، بعد أن أنجز المبدع حلمه.

أشرف أبو اليزيد



«الشمس: جنينان»

رقم الايداع ٧٥١٢/٩٢

الامل للطباعة والنشر